شرح

الرسالة النافعة والحجة القاطعة

صنفه وشرحه

فضيلة العلامة المربي الكبير

الأستاذ الشيخ محمد صالح الفرفور

١٣١٨ - ١٤٠٧هـ

قدم له

الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

حققه

عبد الجليل العطا

«البكري»

تقديم وتقريظ نجل المؤلِّف الأكبر

فضيلة الدكتور : محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

أما بعد ؛ فإنَّ علم التوحيد الذي هو علم معرفة العقيدة الحقّ ، من أشرف العلوم وأعظمها ، لأنّه هو العلم الذي عن طريقه نتعرَّف على جوهر ديننا ، ألا وهو علم التوحيد الذي هو لُباب الدين ، وجُمَّاع الأمر وسِنامه وذروة سِنامه ، ولهذا اهتمَّ علماء الملّة به أيّما اهتمام ، وأولوه في دراساتهم القديمة والحديثة والمعاصرة ما يليق به من الدَّرْس والتمحيص ، ولم يقبلوا فيه التقليد مطلقاً لدى جمهور العلماء . . إلاّ للعاجز عن الوصول إلى معرفته ، وهو الراجح لديهم ، وبذلوا فيه رضي الله عنهم وأرضاهم من الجهود ما لم يبذلوه في علم آخر من علوم الإسلام ، فصنّفوا فيه المطوّلات والأواسط والمختصرات ، من لدن مُقَعِّدَيْ هذا العلم الإمامَيْن الجليلين : أبي الحسن الأشعري ، وأبي منصور الماتريدي رحمهما الله تعالى ، وقد سبقهما إلى ضبط هذا العلم وتقعيده الإمام الجليل أبو جعفر الطحاوي في (عقيدته الطحاوية) الجامعة ، فكان لهم جميعاً فضلُ السَّبْق في هذا المضمار والرِّيادةُ .

والعجيب المُلْفت للنظر أنّ غالبية المثقفين من المسلمين انصرفوا عن هذا العلم العظيم وعن دراسته ، ذلك الذي يعدُّ علم أصول الدين ، وهو مع أصول الشريعة يشكِّلان معاً النابض الحسَّاس للعلوم الإسلامية النقلية والعقلية ، واستبدلوا به ثقافاتٍ ليست من العلم في شيء ؛ هي أقرب إلى الافتراضات والظنون والأوهام منها إلى الحقائق العلمية ، ثم راحوا يملؤون الدنيا بما وصلوا إليه من هذا الاكتشاف الخطير ، ويطلقون على هذا الكلام علما وفكرا ، وما هو بالعلم ولا بالفكر ، ولو سألتَهم عن الأدلَّة على ما ذهبوا إليه لقالوا بنظرية (التوسُّم والاسترداد) ، وهي نظرية كما يعلم المنصفون ـ من الباحثين المتعمقين في علم (المنطق والمناظرة) والعلوم التي تُوصل إليه ـ هي نظرية فاسدة من أساسها ؛ لا تقوم على حُجَّة أو أثارة من دليل ، ثمَّ راحوا يبنون على تلك الأغاليط مجموعة من القضايا التي تناقض

المسلّمات العقلية لدى العقلاء ، وهكذا وضعوا جهالات سمّوها علوماً ، وكسدت سوق الحقائق العلمية ، وشالت نعامتها ، واستقرّ مكانها تلك الأغلوطات التي نراها ونلمسها ونحسُّ بها بأيدينا ونشاهدها بأبصارنا وتقذى بها عيوننا . . .

اللهمّ غفراً . . فلقد استبدّ بي القول ، وما كنت أوَدُّ ذلك ، ولكنّها نفثة مصدور .

هذا ؛ ولقد نَهَد إلى الكتابة في هذا العلم الخطير علاّمةُ العصر والدنا العظيم المجاهد المبرور سيِّدي وأستاذي محمد صالح الفرفور (الحسني) رضي الله عنه وأرضاه ـ وهو ابن بَجْدتها ـ كيف وهو العالم المجدِّد صاحب النهضات العلمية والتآليف النافعة ، فكتب في هذا العلم رسالة عظيمة النفع قليلة الحجم ، فشرَّقت وغرَّبت ، وانتفع بها طلاب العلم في بلاد الشام وسواها من العالم الإسلامي ، ألا وهي الرسالة[1] التي سمّاها :

الرسالة النافعة والحُجَّة القاطعة في علم التوحيد

وهو بلا شكٍّ إمام عصره في المقولات والمنقولات والعلوم والفنون والآداب وفقه اللغة ، مع زهد يذكِّرك بزهد السلف الصالح والرعيل الأول رضي الله عنهم . وزاد رحمه الله فتوّج هذه الرسالة الجليلة بشرح واف جليل وضعه بخطه وقلمه على هامش نسخته من الكتاب في طبعته الأولى الأصل على ما كان عليه رحمه الله من الجهد ، ويجد القارىء الكريم راموزاً لهذا النفيس في طالعة الكتاب ، ولعلَّ خطَّه المبارك كان آنذاك في خواتيم حياته الشريفة تنبىء عما كان يتحمَّله من مشقَّة في الكتابة ، لكنّه آثر الله ورسوله والدار الآخرة على راحته ، وهو الذي لا يكاد يعرف الراحة في حياته كلِّها ، فكان أمَّة في رجل .

فجاء هذا الشرح العظيم بخط الشارح العظيم الإمام المجاهد رضي الله عنه جاء فعليّا بخط العلماء ، بل سيِّد علماء وقته ، في عصره وفيما بعد عصره .

---

(١) هذه الرسالة طبعت عدَّة طبعات وحدها دون شرح ، حيث كان هذا الشرح لديَّ أعطانيه سيِّدي الوالد قبيل وفاته ، وكلّفني بتحقيقه وطبعه ، ولم أستطع ذلك آنذاك ، منها بُعْد مكتبتي الخاصّة عني ، حتى وفّق الله ابننا الروحيَّ الحبيب فقام على ذلك خير قيام ، فجزاه الله عنا كلَّ خير .

ثم نَهَد إلى تحقيق هذا الشرح الوافي النافع الجامع وتجريده من نسخة المؤلِّف الشارح رحمه الله بإذن مني بعد قراءته عليَّ وإجازته بالمتن وبالشرح وبالتحقيق وبسائر العلوم التي تلقيتُها من سيِّدي الوالد المجدِّد رضي الله عنه ؛ نهد إلى ذلك العالم العامل الفقيه الأصولي النابغة النفّاعة ابنُنا القلبيُّ في العلوم والفنون وطريق الله عزّ وجلّ الشيخ عبد الجليل العطا البكريُّ بارك الله به وبجهوده المشكورة في خدمة العلم وأهله ، فجاء هذا الشرح النفيس والتحقيق الرفيع مُتَمِّمَيْن لما بدأه سيِّدنا الوالد الجليل مما صنَّفه من قواعد وفوائد ، فجاء التحقيق على أحسن ما أراده المصنِّف الشارح مما كان يشتهي أن يراه مطبوعاً في حياته طباعة علميَّة محقَّقه رائقة مع التحقيق الذي كان يتمنّى كذلك أن يرى النور على زمانه ، وقد حقَّق الله جلَّ وعلا بصدقه وإخلاصه رضي الله عنه ما كان يشتهي ويتمنَّىٰ على يد المحقِّق الفاضل المنوَّه به جزاه الله خير الجزاء وجزاء الخير كِفاء بِرِّه بدينه أوَّلاً ، ثمَّ بالعلم الشريف ثانياً ، ثمَّ بشيخه وأستاذه ثالثاً ، فشيخنا الوالد مؤسس النهضات العلميَّة هو شيخنا جميعاً على التحقيق ، وهل أنا إلاّ ثمرة من ثمراته وكذلك أخي المحقِّق الكريم حفظه الله .

وفّق الله الشيخ عبد الجليل إلى مزيد من الشرح والتحقيق للمكتبة العلمية لشيخنا الوالد العظيم ، وإلى مزيد من الدراسات الإسلامية الزاكنة ، وأمدَّ في عمره مع موفور الصحَّة والعافية حتى يُتحف المكتبة الإسلامية بهذه النفائس وأمثالها ؛ من حيث تحتاج إليها الأمة في نهضتها المرجوَّة .

هذا ؛ وأتمنّىٰ على الأستاذ عبد الجليل أن يديم نظره في هذا التحقيق الفاخر في كلِّ طبعة من طبعاته القادمات فيزيدَ فيه ويُنقص ويَستدرك ما وسعه ذلك ، وهكذا تولد الحقيقة العلمية كالطفل الصغير ، ثمَّ تكبر وتكبر ويشتدُّ عُودُها ، وتسير نحو الكمال النِّسبيّ بقَدْر الوسع والطاقة ، وهذا شأن علمائنا القدامىٰ الأجلاّء رضي الله عنهم ، فبهداهم اقتده . والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات

٢٥/ ذو القعدة/ ١٤٢٥ — وكتب/ محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني

٥/ كانون الثاني/ ٢٠٠٥ — خادم العلم الشريف بدمشق الشام

ترجمة المؤلف
في سطور (1)

* علم من أبرز أعلام التربية والتعليم في العصر الحديث ، رسم منهجاً ضارع به الأزهر ، وزاد عليه تأسيس أول معهد للفتيات فكان مثالاً وأسوة .

* عصامي في نشأته وتحصيله وبناء شخصيته العلمية والتربية الفريدة ، ما ترك لأحد عليه منَّة في مال أو دنيا .

* رَبَّى أجيالاً من الطلبة شغلوا بتخرُّجهم عليه مناصب عليا في أصقاع واسعة من العالم الإسلامي وكانوا جهابذة في سدَّة الحكم والمجتمع .

* صافي السريرة ، مستقيم السيرة كريم النفس أبيٌّ غيور .

* جمع بين أدب العالم وعلم الأديب ، وخلق المربي ، وإخلاص الزاهد .

* لا يماري ولا يمالىء ، يقول الحقَّ محتسباً فيُقْبَل منه حيث يتقن صياغته في قالب النصح المجرَّد والغيرة الحميدة على دينه .

* عمل على شقِّ طريق البناء ؛ دون أن ينشغل بتفاهات الهدم المقيت .

* عاش مستوراً ، ورحل عن كفاف ، وبقيت ذكراه تُضعِف الأيام عن محوها .

* هو محمد صالح بن عبد الله الفرفور ، والدته صفية غنام ، وهو أصغر إخوته سنّاً .

* ولد بدمشق حدود سنة ١٩٠١ في حي العمارة الجوانية قريباً من المدرسة البادرائية .

---

(١) لن تستطيع السطور أن تحوي ترجمة أستاذنا الجليل العلامة المربي فضيلة الشيخ محمد صالح الفرفور رحمه الله تعالى ، ولكن لا بدَّ من التقديم بين يدي كتابه هذا ببعض ملامح حياته وشخصيته في خطوطها العريضة .

* انقطع عن الدراسة الرسمية لحاجة أسرته وانصرف إلى التلقّي عن شيوخ عصره وفي مقدمتهم المحدث الأكبر ثم الشيخ صالح الحمصي وغيرهما .

* اعتزل لإكمال تحصيله العلمي مدّة غير قليلة ، وطُلب للتدريس فدرَّس في الكلية الشرعية ببيروت ، ثم في دمشق وهو أحد مؤسسيها بدمشق .

* أسس معهداً مستقلاً أسماه الفتح الإسلامي ، ثم أردفه بآخر خاص بالإناث وأقام جميعة خيرية لرعاية الطلبة وإكفائهم للتفرُّغ للتحصيل .

وكانت له أنشطة قبله في حلقات المساجد كالأموي وما حوله ، واستمرت بعد معهده فهو أحد روّاد النهضة التعليمية في بلاد الشام .

* إمام وخطيب ومدرس ديني ، ووجيه اجتماعي ، ومستشار بين العلماء .

* له إجازات علمية عالية من أهمها من المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني .

* له تصانيف عذبة قليلة بأدب مؤثر ونفود طيب وعلم موثوق صنعها لمعهده .

* له ديوان شعر طرق فيه أغراضاً أهمها المديح النبوي والرثاء ، في شاعرية غير متكلِّفة سهلة هادفة تمتاز بالجودة وحسن الصنعة دون تعقيد .

* أعقب سبعة ذكور وثلاث إناث بعد أن قدّم في حياته فرطين غيرهم ، وقد تخرّجوا على يديه ومن معهده وحاول أن يوقفهم جميعاً لخدمة العلم .

* توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء ٥/ محرم ١٤٠٧ ـ الموافق ٩/ أيلول/ ١٩٨٦ ودفن من عصر الغد في مدفن أحد أجداده بعتبة الشيخ أرسلان .

مقدمة المؤلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلامُ على سيِّدنا محمَّد ؛ وعلى آله وصحبه أجمعين .

و بعد؛ إنَّ معظم الخلاف الواقعِ في مسائل علم التوحيد قائمٌ بين ثلاث فرق ، وهم : ١ ـ الأشاعرة ، و٢ ـ الماتريدية[١] ، و٣ ـ المعتزلة .

وإليك بياناً موجزاً لكلٍّ فرقة من هؤلاء ؛ مع ذكر بعض الفِرَق الإسلامية الأخرى ؛ كالقَدَرية ، والجبرية ، والكرَّامية[٢] .

غير أنَّ الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ليس واسعَ الشقَّة ، وكِلاَ الفريقين لا يطعن في دين صاحبه وفضله[٣] ، أمَّا الخلافُ بين الأشاعرة

---

(١) هم أهلُ السنَّة والجماعة ، وهؤلاء كانوا يفهمون الشريعة الإسلامية من النصوص : القرآن والسنَّة ، ولا يحكِّمون العقل ، بل يحكِّمون النصوصَ الشرعيَّة ، ولكنهم في نفس الوقت لا يهملون العقل ، وإنَّما يستعينون به على الوصول إلى الفهم الصحيح من غير تحكيم العقل ، بل الحكمُ للشرع والعقل .(المؤلِّف) .

(٢) انظر ص١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .

(٣) كما هو الخلافُ بين الشافعيَّة والحنفيَّة ، والخلاف على بعض الفروع لا الأصول ، وأمَّا آراء أبي منصور الماتريدي وأبي الحسن الأشعري . . فهما من منبع واحد ، من القرآن والسنَّة ، وغايتُهما واحدةٌ ، والخلاف بينهما من الفروع ؛ لا من الأصول . مثال : =

والمعتزلة وغيرِهم من بقيَّة الفرق . . . فإنَّه شديدٌ ، والنّضال بينهم مصحوبٌ بكثير من الحرج وضيق الصدر . والله تعالى الموفِّقُ .

* * *

=

١ ـ اختلافُهم في وجوب المعرفة ، هل هو بالشرع ؛ أم بالعقل ؟!

٢ ـ اختلافُهم في مفهوم الإيمان والإسلام .

٣ ـ اختلافهم في مفهوم القضاء والقدر . وسنشرح ذلك في محلّه ص١١٣ إن شاء الله (المؤلّف) .

قلنا : جمع بعض أهل العلم مسائل اختلافهم . . فأوصلها إلى أربع عشرة مسألة فقط ؛ أكثرها اختلاف لفظي وبعضها يتّصل بالمسائل الفرعية .

أهل السنة والجماعة وهم
« الأشاعرة ؛ والماتريدية »
أً ـ الأشاعرة

هم منسوبون إلى الإمام أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ ، وجدُّه الأعلىٰ عبد الله أبو موسى الأشعري (صاحب رسول الله ﷺ) . وبين أبي الحسن وجدِّه أبي موسى أربعةُ آباء .

ولد [أبو الحسن](ص) سنة : ستين ومئتين (٢٦٠) على الأشهر . . . بالبصرة ، وتوفي سنة : أربع وعشرين وثلاث مئة (٣٢٤) . . على الأشهر . وكان شافعيَّ المذهب . . على الصحيح[١] .

[شيوخه](ص) : أخذ الحديث عن السَّاجيِّ أحدِ أئمَّة الحديث ببغداد[٢] ، وأخذ علم الكلام عن أبي عليٍّ الجبَّائي[٣] (شيخ المعتزلة)[٤] ، ثمَّ خالفه في

---

(١) وقيل : حنبليّاً . والله تعالى أعلم .

(٢) هو زكريا بن يحيى الساجيّ الفقيه المحدث الحافظ شيخ أبي الحسن الأشعري في السنَّة والحديث توفي ٣٠٧هـ .

(٣) هو محمد بن عبد الوهّاب الجبّائي ، ولد سنة ٢٣٥هـ في جُبّا ، درس على يد أبي يعقوب يوسف الشحام أحد أهم رجال المعتزلة في البصرة ، وأصبح الجبّائي رئيساً لهذه المدرسة أهم تلامذته : أبو الحسن الأشعري إمام مذهب أهل السنة .

(٤) أبو الحسن الأشعريُّ تتلمذ على إمام المعتزلة في عصره (أبي عليٍّ الجُبّائي) ، وكان قويَّ الحُجَّة سريع البديهة ، وكان يتولَّى الجدل والمناقشة نيابةً عن أستاذه الجُبَّائي ، وإن كان الجُبَّائيُّ يجيد التأليف دون المناقشة ! فاختلف مع أستاذه بمسألة ومحاورة =

مسألة[1] القول بوجوب (الصلاح والأصلح على الله) . وفارقه ورجع عن الاعتزال ؛ فصعِد المنبر يومَ الجمعة ونادى بأعلى صوته : مَن عَرَفني . . فقد عرفني ، ومَن لم يعرفني ؟ فأنا (فلان ابن فلان) كنتُ أقول بخلق القرآن ، وأنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة بالأبصار ، وأنَّ العباد يخلقُون أفعالهم بصنعهم ، وها أنا ذا تائبٌ من الاعتزال .

ثمَّ صنَّف بعد رجوعه عن الاعتزال كتابَ « الموجز » ردَّ به على الجَهْمِيَّة والمعتزلة ، وكتاب « مقالات الإسلاميين » ، وكتاب « الإبانة » ، ووقف للدفاع عن العقيدة الإسلامية .

٢ - الماتريدية

هم منسوبون إلى الإمام أبي منصور محمّد بن محمّد بن محمود الماتريدي . وماتريد : اسمُ بلدة بسمرقند ، ويقال لها « ماتريت » ، وتوفي سنة : ثلاث وثلاثين وثلاث مئة (٣٣٣) بعد وفاة أبي الحسن الأشعريِّ بقليل ،

= سنذكرها في محلِّها إن شاء الله تعالى ص ٥٠ . وقد أصبح إماماً لأهل السنَّة ، ونسب إليه الأشاعرةُ . اهـ .

ملحوظة :

أهل السنَّة يعني الأشاعرة والماتريدية هم أوَّل مَن دوَّن علم التوحيد ورَدُّوا على إبطال الفِرَق المخالفةِ للقرآن والسنة ، ولا سيَّما المعتزلة ، فقد أبطلوا مذهبهم بالأدلَّة والبراهين بعد ما انتشر مذهبُ الاعتزال ؛ واعتنقه كثير من ملوك المسلمين ، والإمام أبو الحسن الأشعريُّ وأبو منصور الماتريدي هما حاملان لواء الدفاع عن أهل السنَّة والجماعة ، وسار على مذهبهما كثيرٌ من العلماء العاملين ؛ مثل الأستاذ أبي بكر الباقلاني ، وأبو إسحاق الإسفرايينيُّ رحمهما الله (المؤلِّف) .

(١) حاصلهما أنّه يجب على المولى عز وجلّ أن يختار لعباده الأصلح من شؤونهم .

وهو حنفيُّ المذهب . ولم يكن الماتريديُّ من أتباع أبي الحسن الأشعريّ ! لأن الماتريديَّ مفصِّل[1] مذهب الحنفيَّة ، وأبو حنيفة وأصحابهُ قد أظهروا مذهب أهل السنَّة قبل أبي الحسن الأشعريِّ . ومِن قَبْل الأشعريِّ أيضاً أبو محمّد عبدُ الله بن سعيد القطَّان[2] . فإنَّه أظهر مذهب أهل السنَّة .

وكان أبو منصور الماتريديُّ[3] إماماً جليلاً وعالماً ورعاً ، وله مصنَّفات ؛ منها « كتاب التوحيد » ، وكتاب « المقالات » ، وكتاب « ردّ أوائل الأدلّة » ، وكتاب « تأويلات القرآن » رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

* * *

(۱) لأنّ صاحب المذهب فقهاً وعقيدة هو الإمام الأعظم وأصحابه ، ثم من بعدهم الطحاوي وأضرابه ، وقد كتبوا فيه وصنّفوا ، فعرفت عقيدتهم بعقيدة السّلَف ، ثم جاء الماتريديُّ ففصّل ووضّح فنسب إليه ! والله أعلم .

(۲) متكلّم من العلماء ، لُقِّب بـ« ابن كُلاّب » لأنّه كان يجذب الناس إلى معتقده إذا ناظر . . . له كتب ؛ منها : « الصفات » ، « خلق الأفعال » ، « الردّ على المعتزلة » . توفي سنة ٢٤٥هـ (الأعلام) .

(۳) انظر ترجمته في ص ١٤ .

الفِرقُ المخالفة لأهل السنَّة والجماعة

١ ـ المعتزلة

[وهم أوّل فرقة أسَّست قواعد الخلاف على أهل السنَّة](ص) .

أصل هذه الفرقة رئيسُها (واصل بن عطاء) الملقب بـ « الغزَّال » ، ولُقِّبَ بذلك !! لأنَّه كان يلازم حوانيت الغَزَّالين .

ولد في المدينة سنة : ٨٠ ، وتوفِّي سنة : ١٣١هـ في خلافة هشام بن عبد الملك . قال عنه المسعوديُّ[١] : هو زعيم المعتزلة وشيخُها ، وأوَّل مَن أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين[٢] للفاسق ، اعتزل مجلس الحسن البِصريِّ رحمه الله ، وجعل يقرِّر أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمنٍ ؛ ولا كافر[٣] . قال الحسن البصري : قد اعتزلنا واصلٌ . فسُمُّوا بـ « المعتزلة » . وهم قد سَمَّوا أنفسهم « أصحاب العدل والتوحيد » ، وقد كانت لهم دولةٌ في أوائل المئة الثالثة ، ساعدهم بعض الخلفاءِ[٤] فيها [على مذهبهم](ص) ، فشاع

---

(١) في كتابه «مروج الذهب» في وفيات أيام المتوكل قائلاً: هو شيخ المعتزلة وقديمها . . .

(٢) حاصلها : انظر ص١٠٣ .

(٣) أي مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر مع إنكار الشفاعة له ، وإنكار الجنّة والنار (المؤلف) .

(٤) هو المأمون العبّاسي : أبو العبّاس عبد الله بن هارون الرشيد سابع الخلفاء العبّاسيين ، كان عالماً محدِّثاً نَحْوياً لغويا ، قامت دولة الحكمة في زمانه ، قرَّب العلماء على اختلافهم ، وأطلق الكلام لأهل الجدل والفلسفة ، فوقع في محنة خلق القرآن ، عُرف بالعلم والحلم ، من أقواله (لو عرف الناس حبّي للعفو . . لتقرَّبوا إلي بالجرائم) توفي : ٢١٨هـ عن ٤٨ سنة .

مذهبُهم ، ولكنَّهم قد وجدوا مقاومةً عنيفة من الأشاعرة والماتريدية ؛ فغُلبوا على أمرهم(١) .

* * *

٢ - القَدَريَّة

هم المغالون في إثبات القُدرة للإنسان ، وأنَّه لا يحتاج إلى معونة إلهيَّة في أعماله ، [وعند العبد قدرة اختيارية](ص) ، وأوَّل مَن قال بالقَدَر بهذا المعنى مَعْبَدٌ الجُهَنيُّ(٢) ، وكان يجالس الحسن البِصري وتبعه أهلُ البَصرة ؛ فعذّبه

---

(١) من آراء المعتزلة المخالفة لأهل السنّة .

١ ـ يقولون (إنّ الله قديم .) والقِدم أخصُّ وصف لذاته ، ثمَّ نفوا صفات الله القديمة أصلاً ؛ فقالوا : هو عالمٌ لذاته ، حيٌّ لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة .

٢ ـ قالوا عن القرآن (إنَّ كلامَهم محدَث مخلوق ، وهو حرف وصوت كُتب أمثاله في المصاحف) .

٣ ـ واتفقوا أنَّ الإرادة والسمع والبصر ليست معانيَ قائمةً في ذاته .

٤ ـ وقالوا : إنَّ الله لا يُرى يومَ القيامة بالأبصار ، قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] ، فأهلُ السنَّة قالوا برؤية الله وهم نَفَوْها .

٥ ـ وقالوا : إنَّ العبد قادرٌ لأفعال نفسه الاختيارية خيرِها وشرِّها مستحِقٌّ عليها ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

٦ ـ وأوجبوا على الله أن يخلق الأصلحَ ، وأهل السنَّة يقولون : إنَّ الله فعَّال لما يريد .

ولهم مخالفات أخرُ تذكر في بطون الكتب ! نسأل الله العافية . (المؤلِّف) .

(٢) وهو أوَّل مَن أثار الكلام في هذا الموضوع ، وزعموا أنَّ علم الله لم يسبق الوجود للأشياء عند حدوثها وهو قول باطلٌ ، لأنَّه نسب له الجهل للأشياء قبل حدوثها . اهـ المؤلّف

الحجّاج وصلبه سنة : ٨٠هـ بأمر عبد الملك بن مروان ، وهذا مذهبٌ قريب من مذهب المعتزلة . وزعيمُ هذا المذهب من شيوخ المعتزلة أيضاً إبراهيم النَظَّام[١] .

وقال الأوزاعيُّ : أوّل مَن نطق بالقَدَر رجل من أهل العراق يقال له « سوسن » ، كان نصرانيّاً فأسلم ، ثمَّ تنصَّر ، أخذ عنه معبدٌ الجهني ، وأخذ غيلانُ عن معبدٍ .

* * *

٣ - الجَبْرِيَّة

هم المغالون في نفي الاستطاعة عن العبد ؛ يجعلونه كالريشة في مهآبِّ الريح ، أو كأغصان الشجرة ، على العكس تماماً .. ممّا عليه المعتزلةُ المغالون في إثبات الكسب للإنسان.

وعلى هذا مذهبُ الجبريَّة لا يكون للإنسان كسبٌ ؛ ولا إرادة ؛ ولا اختيار ؛ ولا تصرُّفٌ .. فيماوهبه الله من نعمة العقل ، لقد ضلّ كثيرٌ من الناس بمذهب الجبر[٢] ؛ فخارت منهم الهممُ وانتقضت العزائم ، وقعدوا

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري النظّام ، من أئمة المعتزلة ، وكان شاعراً أديباً بليغاً ، وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال ، وانفرد بآراء خاصَّة تابعه عليها فرقة من المعتزلة فسمُّوا « النظاميّة » توفي سنة : ٢٣١هـ .

(٢) وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافتُه إلى الله تعالى ، ولا فرق بين الفعل الاضطراري والاختياري ، فنسبة الفعل للعبد مجازيٌّ ، فعلى رأيهم كلُّ التكاليف الشرعية جبرٌ ، والثوابُ والعقاب عليها جبرٌ ، وهو قول باطلٌ ، لأنّه يلزم نسبته الظلم=

وتواكلوا ، وأغرقَ بعضهم في الفجور والدَّعارة مستترين بهذا الستار .

ومن الجبرية طائفةُ (الجَهْمِيَّة)(1) أتباع جَهْم بن صَفْوان الترمذيِّ [ببخارى ، وانتقل إلى مرو](ص) الفارسيِّ الذي قُتِل في سنة : ١٣١هـ ؛ أواخر الدولة الأمويّة . وكان يقول بخلق القرآن والجبر ، وأنَّ الإنسان لا يقدر على شيء ؛ ولا يوصف بالقُدْرة ، وكان مِن دعواه (مَن عرف الله . . ولم ينطق بكلمة التوحيد لا يُكْفَر)(2) لأنَّ العلم لا يزول بالصَّمْت ؛ ولا بالجحود ، وهذا مردودٌ [باطل](ص)(3) .

❊ ❊ ❊

= إلى الله سبحانه على تعذيب العبد على غير فعله ، والله يقول ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ويقولون أيضاً بفناء الجنّة والنار بعد دخول أهلها وتلذُّذهم وتعذيبهم ، لأنَّهم لا يتصوَّرون البقاءَ ، وكلُّ ذلك باطل يخالف صريح الكتاب والسنَّة . وحديث : « لَوْ أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً . . فَأَنْفَقَه مَا قَبِلَ ٱللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِٱلقَدَرِ . . . » رواه الخمسة إلاّ البخاري (المؤلّف) .

(1) والجهميَّة يقولون :

١ ـ إنّ الله لا يُوصَف بوصف يُوصِف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً بخلقه .

٢ ـ ويقولون : إنَّ الله لا يعلم الشيء قبل خلقه بل يعلمه بعد خلقه !!

٣ ـ ويقولون إنَّ مَن أتي بالمعرفة ثمَّ حجبه بلسانه لا يكفر .

٤ ـ ويقولون : إنَّ إيمان الأنبياء وإيمان الأمَّة على نمط واحد .

وكان السَّلَف مِن أشدِّ الرادِّين عليهم ، لأنَّ فرقتهم سببٌ للتعطيل وتركِ العمل ، ولهم تُرّهاتٌ أخرى .

(2) يُكفَر بالبناء للمجهول ، أي يُنسَبُ إلى الكفر ، من الإكفار .

(3) وقد انقرض الجبريُّون ، ولم يبقَ منهم ومن الجهمِّيين أحدٌ ، وللجَبْريِّن وأتباعهم من الجَهْميِّن شَطَحات أخرجَتْهم عن أهل السنَّة (المؤلّف) .

٤ - الكرّاميّة

هم أتباع [أبي عبد الله](ص) محمَّد بن كَرَّام المتوفى سنة : ٢٥٦هـ ، وكان له أتباع كثيرون من جهة نيسابور ، وهو من المشبِّهة ، ويقول (إنَّ الله جسم له حدّ ونهاية من الجهة التي يلاقِي بها عرشَه . ووصفه بأنَّه جوهر . وأنَّ الله مماسٌ لعرشه الذي هو مكانٌ له . . . إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا يقبلها عقل سليم . وقد تكفَّلت الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة من مباحث التوحيد بنفي التحيُّز والحدوث عن الله ، فلا نطيلُ في الردِّ على هذه الضلالات [فإنها باطلة](ص) .

. . . . . . (١)

❊ ❊ ❊

---

(١) أضاف المؤلِّف رحمه الله تعالى ههنا فرقة أخرى فكتب ما نصُّه :

والمرجئة

هم القائلون بأنّ الوعيد الواقع في القرآن والسنَّة ليس على حقيقته ، بل المقصود منه الزجر عن المعصية فأرجئوا النصَّ . أي : أخَّروه وألغوه عن الاعتبار .

قلنا : وقد ينسب إلى الإرجاء إمامُنا الأعظم رضي الله عنه ، ولكن لا بهذا المعنى ! بل بمعنى التفويض لأمر الله عز وجلَّ فيمن مات . . ولم يتب من ذنبه . فهؤلاء قال الله عز وجلَّ عنهم ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ . . . ﴾ [التوبة: ١٠٦] فليكن ذلك على بالك دائماً . وهذا من غاية ورعه رضي الله عنه ، ومن شبيه ذلك توقُّفه في أمر أولاد المشركين . والله تعالى أعلم .

مدخل

إلى علم التوحيد

تعريف علم التوحيد : [لغة : هو أنّ الشيء واحدٌ لا يتعدّد وشرعاً](ص) هو علمٌ يُفهم منه إفرادُ المعبود بالعبادة ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً . أي : أنَّ الله تعالى واحدٌ في ذاته ؛ واحدٌ في صفاته ، واحد في أفعاله(١) .

موضوعه : هو ذاتُ الله تعالى . . من حيث ما يجبُ له ، وما يجوز ، وما يستحيل . ثمَّ اعتقاد السمعيَّات التي أَخبر بها رسول الله ﷺ ؛ من البعث والنّشر والحساب ، والجنَّة والنار ، والثواب والعقاب .

الدِّين : ويسمَّى « الشرع » أيضاً . وهو : ما وضعه الله تعالى لذَوِي العقول السليمة يسوقُهم باختيارهم إلى ما هو خيرٌ لهم في دنياهم وآخرتهم .

---

(١) أو هو علم يُقْتَدرُ معه على إثبات العقائد الدِّينيَّة على الغير وإلزامه إيَّاها بإيراد الحجج ودفع الشُّبَه عنها .

والمراد بالعقائد : ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل .

والأحكام المأخوذة من الشرع قسمان :

أحدها : ما يُقصد به نفسُ الاعتقاد ؛ (تعالى عالم قادر) . وتسمَّى « اعتقادية » وهذه « اعتقادية » و« عقائد » .

والثاني : ما يقصد به العمل ؛ كقولنا (الوتر واجبٌ ، والزكاة فريضة) وهذه تسمَّى « عملية » و« فرعية » و« أحكام ظاهرية » . وقد دُون علم الفقه لها ، فهذه تتزايد وتكرّر ، أمَّا العقائد . . فإنَّها مضبوطة لا تتزايد فلا تتعذَّر الإحاطة بها . اهـ . (مواقف) .

وهو أشرف العلوم لأنه أساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية . اهـ . (نسفي) . (المؤلّف) .

المكلَّف في الشرع : هو البالغُ العاقل . . من ذكر ؛ أو أنثى . وشرطُه : أن يكون ١ ـ سليمَ الحواسِّ ؛ و٢ ـ بلغتْهُ دعوة الإسلام ؛ من الإنس والجنِّ . فالصبيُّ والمجنون ليسا من أهل التكليف .

حكمه : هو فرضُ عين على كلِّ مكلف ولو إجمالاً لتسلم عقيدته من الزيغ والضلال . [ومعرفة حقيقة توحيده ، وكيف استحقَّ الله أن يعبد بالطاعة دون عباده](ص) .

ثمرته : الاعتقادُ الجازم بوجود الله ، ومعرفةُ صفاته بطريق قطعيٍّ ، والإيمانُ بما أُرسل من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

واضعه : لم يوضع علم التوحيد وضعاً مرتَّباً من قِبَل أحد . لكن لمّا كان الشيخ أبو منصور الماتريديُّ ؛ والشيخ أبو الحسن الأشعريُّ أشهرَ مَن دوّن كُتُب علم التوحيد وأقامَ البراهين على ردود المخالفين . . شاع أنَّهما الواضعان .

[وغايته : الفوز بالسعادتين : الدنيوية ، والأخروية .

وبراهينه : الحُجج القطعيَّة المؤيَّد أكثرها بالأدلَّة السمعيّة](ص) .

هذا ؛ ويجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً لا شكَّ فيه أنَّ معرفة الله تعالى [ومعرفة الرسل](ص) واجبة على كلِّ مكلَّف .

وهو أوّل الواجبات على كلِّ مكلَّف . . على قول الجمهور ، ودرجاتُ [المعرفة](ص) متفاوتة ، غير أنَّنا لا نقدر أن نعرف حقيقة الخالق [ولا يعرف حقيقته إلاّ هو](ص)[1] وأنَّىٰ للمخلوق أن يقدِر على معرفة كُنْهِ خالقه ؟!

---

(١) معرفة الله وأحكامها : وجبت عند الأشاعرة بالشرع ، أي : ببعثة الرسل للمكلَّفين لا بالنظر .

=

فالإنسان يعجز عن معرفة حقيقة نفسه ، فكيف بحقيقة خالقه !! ولكنّا نقدِر أن نتوصَّل إلى معرفة الله تعالى بمعرفة صفةٍ من صفاته ؛ فنستدلَّ بها على الله تعالى وعظمته بما خلقه الله تعالى ؛ من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، وما أودع فيها من عجائب ، وما نراه من الحدوث والتغيُّر في الأفلاك السماويّة العُلْوِّية ؛ من طلوع الشمس وغروبها ، وبزوغ القمر وأفوله ، وسير الكواكب وتنظيمها .

وقد ذكر الله لنا ذلك في القرآن الكريم مشيراً إلى عظمةِ صنعه في مخلوقاته فقال ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

وأشار إلى خلق الإنسان بقوله ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة : ٥٩] .

وأشار إلى خلق الحيوان بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس : ٧١ ـ ٧٢] .

وأشار إلى النبات وصنعه بقوله ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٤] .

= وقالت الماتريدية : معرفة الله وجبت بالعقل لوضوحها بالبراهين العقلية ؛ لا بتحسين العقل لها وبباقي الأحكام .

ملاحظة : عدمُ إطلاق المعرفة عليه تعالى لأنّها توقيفيّة . وبعضهم جوّز إطلاق المعرَّف عليه تعالى لقوله ﷺ : « تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ بِٱلرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي ٱلشِّدَّةِ » . وإن احتمل المشاكلةَ ؛ أو المجاز (المؤلف) .

قلنا : الحديث أخرجه القضاعي : ٧٤٥ ؛ عن أبي هريرة ، وأحمد : ٣٠٧/١ ، وعبد بن حميد ، والطبراني في « الكبير » : ١١٢٤٣ ؛ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما .

وأشار إلى الجبال والبحار بقوله ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣) ﴾ [النازعات : ٢٧ ـ ٣٣] .

وقد نبّهنا القرآن الكريم بآياتٍ كثيرةٍ على وجود الله تعالى بحكمة صنعه مخلوقاته التي تدلُّ علىٰ أنَّه واحد قادر لا شريك له ، وأنَّ رسله قد أرسلهم رحمةً بعباده ؛ ليهدوهم إلى طريق الحقِّ وسواء السبيل .

* * *

الباب الأوَّل

الإلهيَّات

* الحكم العقلي ·
* الإيمان والإسلام ·
* الله عزَّ وَجلَّ ، ذاته ؛ وصفاته ؛ وأسماؤه ·
* الآيات المتشابهات ·
* أفعال العباد ·

مدخل

الحكم العقلي عند علماء الكلام

أقسام الحكم ثلاثة : واجب ، وجائز ، ومستحيل . لا رابع له .

١ ـ الواجب : هو ما لا يقبل الانتفاء في ذاته ، كوجود الله تعالى ؛ فإنّه واجب الوجود .

٢ ـ الجائز : هو ما يقبل الانتفاء والثبوت في ذاته ، كوجود العالم . فإنّ الله قادر على محوه وعلى إثباته ، قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] .

٣ ـ المستحيل : وهو ما لا يقبل العقل إثباتَه ، كوجود شريك لله تعالى ؛ فإنَّه مستحيل ، قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وسنذكر الأدلّة على ذلك إن شاء الله تعالى .

* * *

تعريف العقل

تعريف العقل : لقد وقع لهم تعاريف كثيرة للعقل أحسنها :

أنّه نور روحاني به تدرك النفسَ العلوم الضروريّةَ والنظريّةَ .

فيفهم من هذا التعريف أنّ المدرك في الحقيقة هي النفس الناطقة . وإنّما العقل آلة في الإدراك كسائر القوى ، وهذا النور الروحاني من عند الله أودعه في النفوس الناطقة ، والعقل لا يدرك إلاّ بهذا النور الروحاني ، ولذلك قال تعالى ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ١٠٥] . فالعقل لا يرى إلاّ بنور الله .

أقسام الحكم

الحكم : إمَّا عقليٌّ ، أو عاديٌّ ، أو شرعيٌّ .

١ ـ فالعقليُّ : هو إثباتُ أمر لأمر ، أو نفْيه عنه . . من غير توقُّف على تكرار ؛ ولا وضع واضع . وينحصر في ثلاثة أقسام : الوجوب ، والاستحالة ، والجواز .

٢ ـ والعادي : هو إثبات أمرٍ لأمرٍ ، كوجود الشِّبع عند الأكل ، فإنَّ من عادة الأكل أن يأتي عقبهُ الشبع[(١)] .

٣ ـ والشرعيُّ : هو كلام الله تعالى المتعلِّق بفعل الشخص . . من حيث التكليفُ ؛ أو الوضع . أي : من حيث تكليف الله للعبد ، ومن حيث وضع اللغة له .

---

(١) الحال والواسطة

العاديّ : هو إثبات الربط بين أمر وأمر آخر . . وجوداً ، أو عدماً بواسطة تأثير بينهما .
فوجود الشبع بوجود الأكل ، وعدم الشبع بعدم الأكل ، وغاية ما دلّت عليه السعادة وجود الاقتران بين الأمرين مرّتين .
وكذلك إذا قلنا (النار محرقة) ، فإنّ الاحتراق يقترن بمسِّ النار ، والذي دلَّ على الإحراق الاقتران فقط بين الأمرين ، أمّا الإحراق فهو بأمر الله ، وقد يتخلَّف الإحراق ؛ وإن وجد الاقتران والمسُّ ، كالنار التي وقع فيها إبراهيم عليه السلام فقد تعطَّل الإحراق بقوله تعالى ﴿ يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ وقال لها : كوني برداً وسلاماً !! لأنَّه لو قال ﴿ بَرْدًا ﴾ لأهلك البرد إبراهيم ! فقال تعالى ﴿ وَسَلَـٰمًا ﴾ أي : ليسلم منك إبراهيم .
هذا مذهب أهل السنّة والجماعة ، وهو أنّ المحرق هو الله ، والنار كانت سبباً ؛ لا محرقة . خلافاً للمعتزلة ، فإنهم يقولون (إن النار هي المحرقة) . (المؤلف)

الفصل الأول

الإيمان والإسلام

١ ـ الإيمان

الإيمان : هو التصديقُ بالقلب ، أي : تصديق النَّبيِّ ﷺ بكلِّ ما جاء به تصديق إذعان وقبول ويقين . لأنَّ كثيراً من المشركين كانوا يعتقدون صدق النَّبيِّ ﷺ وما جاء به لكنَّهم لم يذعنوا له ولم يؤمنوا بما جاء به . قال تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . فهم كفّار في نار جهنَّمَ [ولو عرفوه ، لأنّهم لم يذعنوا له](ص) .

واختلف العلماء فيمن كان كافراً ؛ وأراد أن يُسلم أيجب عليه أن ينطق بالشهادتين ، أم يكفيه التصديق بقلبه بما جاء به النَّبيُّ ﷺ ؟

فبعضهم قال : يجب النطق بالشهادتين . وبعضهم قال : يكفيه التصديق .

* * *

٢ ـ الإسلام

الإسلام : هو الإقرار باللسان بالشهادتين مع التصديق بالقلب [بجميع ما جاء به القرآن](ص) .

أركانه خمسة :

١ - شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ .

٢ ـ إقام الصلاة المكتوبة .   ٣ ـ إيتاء الزكاة المفروضة .

٤ ـ صوم رمضان .   ٥ ـ الحجُّ لمن استطاع إليه سبيلا .

فمن أنكر واحدة منها [، أو استهزأ بها](ص) مستحلاً . . فهو كافر حلال الدم ، لا تجري عليه أحكام الإسلام ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، [ومن أقرَّ بها ؛ واعتقد ثبوتها . . فهو مؤمن ينجو بفضل الله تعالى من الخلود في النار ويستوجب الخلود في الجنّة دار النعيم](ص) .

زيادة الإيمان بالطاعة ونقصانه بالمعصية

اختلف العلماء في الإيمان : أيزيد بالطاعة لله ؛ وينقص بعصيانه ؟! .

قال الأشاعرة : يزيد وينقص . ودليلُهم قولُه تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقال جماعة [من](ص) أعظمِهم الإمامُ أبو حنيفة[1] : لا يزيد

---

(١) زيادة الإيمان

يقول أبو حنيفة رضي الله عنه وإمام الحرمين : إنَّ الإيمان لا يزيد بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي ، ولهذا مجرّد الإقرار باللسان لا يكفي في الإيمان ، ولذلك نفىٰ الله الإيمان عن المقرِّين باللسان . . ولم يقرُّوا بالقلب ، قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ فنفى الله عنهم بالقول لأنَّهم يذعنوا للإيمان .

والمقرُّ باللسان وحدَه من غير إذعان ليس مؤمناً لغة .

والحقيقة لا يكون مؤمناً حتّىٰ يُذعن ، والحقيقة لا يكفي في الإيمان فعل اللسان ، ولا بدَّ من فعل القلب ؛ وهو الإذعان .

ملاحظة : الإجماع منعقدٌ على أنَّ إيمانَ مَن صدَّق بقلبه ؛ وقصد الإقرار باللسان . . =

ولا ينقص . ودليلُهم : أنَّ الإيمان تصديقٌ وجزم وإذعانٌ . . فلا ينقص . وإنَّما النقص يكون في موضوعِ الإيمان ؛ لا في أصله . لأنَّه إن نقص أصلُ الإيمان . . فلا يكون مصدِّقاً جازماً ؛ فلا يصحُّ إيمان ناقص وغيرِ جازم بالتصديق .

ملحوظة : إيمانُ الأنبياء يزيد ولا ينقص .

المقلِّد : هو الذي آمن بالله ورسوله بلا برهان ولا دليل ، واتّبع رأيَ مقلَّده من الأئمَّة المجتهدين ، وهو أوَّلُ درجةٍ من درجات الإيمان .

واختلف العلماء في إيمان المقلِّد ، فبعضهم قال بعدم صحَّة إيمانه في الآخرة ، أمَّا في الدنيا . . فإيمانه صحيح . وهذا القولُ لأبي هاشم الجُبَّائي ؛ من المعتزلة ، وبعضهم قال : إن كان من أهل النظر والدليلِ وقلّد غيره لا يقبل منه الإيمان فإيمانه صحيح إلاَّ أنَّه عاصٍ بترك النَّظر .

ومِن العلماء مَن قال بصحَّة إيمان المقلِّد . . إن كان يجزم بقول مَن قلَّد من الأئمة ؛ ولو رجع الإمام . . لا يرجع المقلِّد ، فهذا إيمانُه مقبولٌ[1] ، وهو

= ومنعه مانع من الإقرار ، لإغماء ؛ أو إكراه على عدم الإقرار أو غيره ؛ فهو مؤمن .
وأمَّا مَن قال (يزيد وينقص) . . فأبو حنيفة يقول : يزيد وينقص بزيادة ما يجب الإيمان به .
والإيمان التفصيليُّ أولىٰ من الإيمان الإجمالي (المؤلف) .

(١) الخلاف في إيمان المقلِّد على أربعة أقوال ؛ وهو ممَّن جزم بقول الغير من غير أن يعرف دليلاً .
والصحيح من الأقوال هو : صحَّة إيمانه مع العصيان بتركه النظر في الدليل ، وهو أضعفُ أقسام مراتب الإيمان الخمسة : ثانيها :
٢ - إيمان علم ؛ وهو : معرفة العقائد بأدلَّتها . وهذا من أهل علم اليقين ، وكلا =

رأيُ أهل السنَّة والجماعة .

وأمَّا المقلِّدُ الشاكُّ في إيمانه . . فلا يصحُّ إيمانه باتفاق العلماء .

ملاحظة : يكفي المؤمنَ أن يقرَّ بالشهادتين . . فيثبتَ له الإسلام ، وتجري عليه الأحكام الإسلامية ؛ من إرث وزواج وغيرها من أحكام الإسلام . . ما لم يظهر منه مكفِّر .

[هل تجب معرفة الله بالعقل ؟](ص)

ذهب جمهور مشايخ الحنفية إلى أنَّه تعالى لو لم يبعث للناس رسولاً . . لوجب عليهم بعقولهم معرفةُ وجوده تعالى وصفاتِه وكونِه مُحْدِثاً للعالم ، وهو المشهورُ عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

= القسمين صاحبُهما محبوب .

٣ ـ إيمان عيان ؛ وهو : معرفة الله بمراقبة القلب ، فلا يغيب ربُّه عن خاطره طرفة عين ، بل هيبته دائماً في قلبه كأنَّه يراه . وهو (مقام المراقبة) ، ويسمَّى عندهم « عين اليقين » .

٤ ـ إيمان حقٍّ ؛ وهو : رؤية الله بقلبه وهو معنى قولهم (العارف يرى ربّه في كلِّ شيء [أي : يرىٰ قدرته في حكمه . . .] ، وهو (مقام المشاهدة)، والمسمَّىٰ « حق اليقين ») ، وصاحب هذا المقام هو الذي يَستدلُّ بالحقِّ على الخلق .

٥ ـ إيمان حقيقة ؛ وهو : الفناء بالله والغَيْبة بحبِّه ، فلا يشهد إلاَّ إيَّاه ، كمن غرق في بحر . . ولم ير له ساحلاً .

والواجب على كلِّ مكلَّف القسمين الأوَّليين .

وأمَّا الثلاثة الأُخَر . . فعلوم رياضة يختصُّ بها مَن يشاء من عباده .

وثمرة الإيمان فعل الطاعات فمن آمن ؛ ولو بالتقليد . . وأكثر من الطاعات الخالصة نوَّر الله بصيرته ، وربَّما رقَّاه إلى تلك المعارف المتقدِّمة ؛ ولو كان مقلِّداً . (المؤلف)

وذهب جمهور مشايخ الأشاعرة ـ وأكثرُهم الشافعيَّة ـ إلى أنَّه لا يجب إيمان ؛ ولا يحرم كفرٌ قبل البعث للرسل ، فيعذر الناشئ في الشاهق الذي لم تبلغه الدعوة . وكذلك كلُّ مَن لم تبلغه الدعوة .. سواء نشأ في شاهق ؛ أو غيره كما في [كتاب][ص] « المسايرة » [لابن الهمام][ص] .

وقد ذكر الإمام السيوطيُّ في رسالة مفردة لأبوي النَّبيِّ ﷺ ونجاتهما أنَّ مَن مات .. ولم تبلغه الدعوة كان ناجياً من النار ، لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[١] [الإسراء : ١٥] .

ملحوظة : هل الإيمان والإسلام واحد ؟

ذهب مشايخ الحنفية إلى أنَّ الإيمان والإسلام واحدٌ ، كما قال الإمام أبو منصور الماتريدي والنسفيُّ وابن الهمام . اهـ . (مواقف) .

وذهب جمهور الأشاعرة [والمحكيُّ عن الشافعي][ص] إلى أنَّ الإيمان والإسلام يختلفان ، وهما متغايران . وإلى ذلك ذهب السعد التفتازانيُّ . [وذهب غيره إلى أنّهما متلازمان كما سيأتي ص٢٩][ص] .

* * *

---

(١) أهل الفترة : هم مَن وُجدوا في الصدر الأوَّل بين رسولين ؛ من غير إدراكٍ لهما ، فهم ناجون عند الأشعري ؛ لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ، وذلك لانقطاع كلِّ رسول بموته ؛ أو رفعه كعيسى عليه السلام ، لعدم عموم البعثة لغير نبيِّنا .

ملحوظة : مَن كان صبيّاً وقت موت الرُّسل ، بحيث بلغ ونشأ .. ؛ ولم يبلغه الشرع الصحيحُ بالغاً !! فهذا من أهل الفترة ، ولو كان من طائفة المرسَل إليهم . لا إنْ بلغه الشرع الصحيحُ ؛ ولو بعد موت ذلك الرسول . اهـ (المؤلف) .

حكم النطق بالشهادتين

وقد اختلفوا في النطق بالشهادتين :

١ - **قال** جمهورُ الأشاعرة والماتريدية : إِالنطقُ بهما خارجٌ عن حقيقة الإيمان ؛ ولكنه شرط لإجراء الأحكام الدنيوية . . من التناكح ؛ والتوارث ؛ والدفن ؛ وقبول الشهادة في العبادات ؛ وغير ذلك ، وهو كالعمل .

ثمَّ إنَّ التصديق فعلٌ قلبيٌ لا يطّلع عليه أحدٌ إلاّ الله . ولا بدَّ له من علامة تدلُّ عليه ؛ وهي النطق بالشهادتين ، فمن لم ينطق بهما . . من غير عذر ؛ ولا إكراه ؛ وكان مصدّقاً بقلبه ! فليس بمسلم ، ولا تجري عليه أحكام الإسلام ؛ وإن كان مؤمناً عند الله .

٢ - القول الثاني ؛ هو قول أبي حنيفة وبعضِ الأشاعرة والماتريدية : أنَّ النطق بالشهادتين هو جزء من حقيقة الإيمان ، فالإيمان على هذا اعتقادٌ جازمٌ في القلب ؛ وإقرار باللسان بالشهادتين ، فمن صدّق بقلبه . . ولم يقرّ بلسانه ؛ مع القدرة . . لا يكون مؤمناً لا عند الله ؛ ولا عند النّاس .

لكن هنا شيء ، وهو أنَّ النطق بهما ركنٌ زائد عن الإيمان يحتمل السقوط عند العجز والإكراه ، أمّا التصديقُ . . فإنّه ركن أصليٌ لا يحتمل السقوط بحال ، لأنّه لا إكراه فيه .

اتفاق الفريقين : اتفق الفريقان على أنَّ من دُعي إلى الإسلام وأبى النطق بالشهادتين بلا عذر ؛ ولا إكراه . . فهو كافر ؛ وإن صدّق بقلبه . ومثلُه مَن أقرَّ بالشهادتين وأتى بشيء من المكفِّرات ، أو استهان بشيء من شعائر الدين ، أو استحل محرّماً حرّمه الله ، أو أحلّ حراماً حرّمه الله ، أو شكّ في شيء معلوم بالضرورة من الإسلام ؛ كمن شكّ باليوم الآخر ، أو االحشر والنشر ، أو

بوجود الجنة والنار . أو سجد للشمس أو الصنم ، وأمثال ذلك كثيرة .

٣ ـ القول الثالث ؛ قولُ المعتزلة والخوارج وآخرين : أنَّ الإيمان هو التصديق والنطق وسائر الطاعات .

[٤ ـ وزعمت الكرّاميّة : أنّ حقيقة الإيمان مجرَّد النطق بالشهادة ، حتى من أضمر الكفر . . وأظهر الإيمان يكون كافراً إلاّ أنّه يستحقُّ الخلود في نار جهنم . اهـ (شرح المقاصد)](ص) .

* * *

الإسلام

الإسلام لغة : الانقيادُ والطاعة .

وشرعاً : الاستسلام لجميع أوامر الله ونواهيه ، والإذعانُ الظاهر مع القبول سواء عمل المسلم من الطاعات ؛ أو لم يعمل .

وفي الحقيقة : إنَّ الإيمان والإسلام متلازمان ، فلا يتصوَّرُ إيمانٌ بلا إسلام ؛ ولا إسلام بلا إيمان . فالإيمانُ : تصديقٌ وإذعان ؛ كما جيء به على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولا يكون إلاّ بقبول الأوامر والنواهي . والإسلامُ : عبارة عن الانقياد والخضوع . وهذا لا يتصوَّر بدون تصديق . إذن : الإيمان والإسلام متلازمان .

* * *

الفصل الثاني
الله عز وجل
ذاته وصفاته وأسمائه
البحث الأول
صفات الذات لله عز وجل

أ - بيان ما يجب لله تعالى إجمالاً :

يجبُ لله تعالى إجمالاً كلُّ صفةٍ كمال ، ويستحيلُ عليه كلُّ صفةٍ نقصان ، غير أنَّ صفةَ الكمال لا تتناهى ؛ ولا تحصى ، لذلك سنذكر ما يجبُ لله تعالى تفصيلاً ، فإنَّها محصورةٌ معدودة .

يجبُ لله تعالى تفصيلاً عشرونَ صفةً تنقسم إلى أربعة أقسام : ١ ـ نفسية ، ٢ ـ سلبية ، ٣ ـ معاني ، ٤ ـ معنوية .

أولاً : الصفة النفسيَّة

وهي الوجود . [والمراد بالنفسيَّة : صفة ثبوتيَّة يدلُّ الوصف بها على نفس الذات ؛ دون معنىً زائدٍ عليها .][ص] .

الوجود : هو الحالُ الواجبة للذات ؛ غير معلّلة بعلّة[1] .

---

(١) أي : أنّ غيره لا يؤثر في وجوده .

ـ تعريف الوجود عند الأشاعرة : هي صفة نفسيّة يدلُّ الوصف بها على نفس الذات ؛ دون معنىً زائدٍ عليه ، وقال : الوجود عين الموجود .

ـ وقالت الكرّاميّة : الوجودُ صفة معنىً ؛ كالقدرة والإرادة . =

ووجود الله هو نفسُ ذاته . [وأنّ وجوده بذاته ليس بواسطة شيء . ووجوده واجب لا يلحقه عدم](ص) .

الدليلِ النقليُّ على وجوده تعالى قوله ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

والمعدومُ لا يَخْلُق ، فلو لم يكن موجوداً .. لم يخلق شيئاً [من الكائنات](ص) .

الدليل العقلي على وجوده تعالى هو وجودُ هذه الكائنات وانتظامُها ، فلابدَّ لها من موجِد ، لأنَّه لا بدَّ لكلِّ صنعة من صانع عقلاً . فوجود هذه الكائنات يدلُّ على صانعها ؛ وهو الله تعالى .

* * *

ثانياً : الصفات السلبيَّة

وهي ١ ـ القدم ، ٢ ـ البقاء ، ٣ ـ مخالفته تعالى للحوادث ، ٤ ـ قيامه تعالى بنفسه ، ٥ ـ الوحدانية .

وسُمِّيت هذه الصفات « سلبيّة » !! لأنَّ معناها : سلب ما لا يليق بالله عزَّ وجلَّ من أضدادها .

* * *

١ ـ القدم : هو : عدمُ أوّليّةِ الوجودِ ، أو : عدم افتتاح الوجود ـ يعني :

= الدليل على وجوب الوجود له تعالى : أن تقول (إنَّ افتقار العالم يجب أن يكون كلُّه إليه ، وكلُّ مَن وجب افتقار العالم إليه .. فهو واجب الوجود ، فالله تعالى واجبُ الوجود) اهـ (المؤلِّف) .

أنَّ الله قديم لا أوَّل له ، فكان الله تعالى . . ولم يكن معه شيء . ووجودُه لم يُسبَق بعدم كوجودنا .

الدليل النقليُّ قولُه تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد : ٣] .

الدليل العقليُّ على قدمه تعالى : هو لو لم يكن قديماً . . لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً . . لم يخلق شيئاً من الكائنات لحدوثها قبله ، فثبت قدمُه . وكلُّ مَن ثبت قدمه . . استحال عدمه .

والفرق بين وجود الله ووجودنا : أنَّ وجود الله قديمٌ أزليٌّ ، ولا يحتاج إلى موجد ، فكان الله . . ولم يكن شيء . وأمَّا وجودنا . . فهو حادث محتاج إلى مُوجِد ومكانٍ وزمان . فوجود الله أزليٌّ لا أوَّل له ، ووجودنا حادث عَرَضي ؛ له أوَّل وآخر . اهـ .

والتحقيقُ أنَّ القديمَ والأزليَّ بمعنىً واحدٍ .

وأمَّا العالَم . . فله مؤثِّر لوجوده ؛ وهو الله ، وأمَّا الله . . فموجود ؛ ولا مؤثِّر لوجوده .

* * *

٢ ـ البقاء : هو عدمُ آخريَّةِ الوجودِ ، أي : لا آخر لوجوده ؛ ولا يلحقه العدم .

الدليل النقليُّ قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧] .

الدليل العقلي : هو أنَّه لو جاز عليه الفناء والعدم . . . لكان حادثاً مثلَ الحوادث ، وقد ثبت أنَّه قديمٌ ، فكلُّ مَن ثبت قِدَمه . . استحال عدمه ، وما من شيء يتّصف بالقدم ويتّصف بالبقاء إلاّ اللهُ تعالى ، فهو قديمٌ لا أوَّل

له ، وباقٍ لا آخر له . وإنَّما الجنَّة والنار ، والعرش والكرسيُّ ، والقلم واللوح ، والروح والعَجْب[1] ؛ وإن كانت باقية . . فبإذن الله وبقدرته ، لأنَّه يجوز عليها العدم بإذنه فتفنىٰ . وأمَّا الله فإنَّ بقاءه ذاتيٌّ ؛ فلا يلحقه العدم .

ملحوظة : كلُّ المخلوقات حادثةٌ ، وقد يبقى منها . . كالجنة والنار ، وليس في الوجود قديمٌ إلاّ الله ، ولا بدَّ لكلِّ مخلوق من زمان ومكان ومخصِّص له إلاّ الله تعالى ؛ فإنَّه خالق الزمان والمكان ، وكلُّ العالم يحتاج إليه . . وهو لا يحتاج إلى شيء ؛ فهو الغنيُّ الحميدُ .

* * *

٣ ـ مخالفته تعالى للحوادث : أي : عدمُ مماثلتِهِ لها بشيء . . لا في ذاته ؛ ولا في صفاته ؛ ولا في أفعاله ، فذاته لا تشبه ذواتِ المخلوقات ، وصفاتُه لا تشبه صفات الحوادث ، وأفعاله لا تشبه أفعال الحوادث .

الدليل النقلي على عدم مشابهته تعالى للحوادث هو قولُه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

الدليل العقليُّ على عدم مشابهته تعالى للحوادث هو : أنَّه لو شابَهَ شيئاً منها . . لكان حادثاً مثلها . كيف ؛ وقد ثبت قدمُه !! والقديم لا يشبه الحوادث . . لا في ذاته ؛ ولا في صفاته ؛ ولا في أفعاله . أما ذاتُه . . فلا تدرَك ، ولا يحيط بذاته عِلْماً أحدٌ ، لأنَّ المخلوقَ لا يدرك كُنْهَ الخالق « وكُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ . . فَٱللهُ بخلافِ ذلك » .

وكذا صفاتُه ليست كصفاتنا، فعلمُه أزليٌّ غير مكتسب . . وعلمُنَا حادث

---

(١) عَجْب الذنب . وانظر ص٩٦ .

مكتسب من الغير ، وأفعاله ليست كأفعالنا ؛ لأنّه لا يحتاج عند الخلق إلى ما نحتاجُه نحن وقتَ الصنع ، فإذا أراد شيئاً قال له ﴿كُن﴾ فيكون ، [من غير احتياج إلى شيء](ص)(١) .

* * *

٤ ـ قيامه تعالى بنفسه : أي أنه تعالى لا يحتاج إلى [موجد ؛ ولا إلى](ص) محلٍّ ولا إلى زمان ؛ ولا إلى مكان ؛ وهو غنيٌّ عمّا سواه ، وغيرُه مفتقرٌ إليه(٢) ، وهو خالق الزمان والمكان .

---

(١) فاللهُ ليس بجرم يأخذ قدراً من الفراغ ، فلا مكان ، لأنّه هو خالق الأمكنة ، وليس هو عَرَضا يقوم بالجِرْم ، وليس له جهة من الجهات ، وأما قوله ﷺ : « يَنْزِلُ ٱللَّهُ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا إِذَا جَاءَ ثُلُثُ ٱللَّيْلِ ٱلأَخِيْرُ .. فَيَقُولُ تَعَالَىٰ : ﴿ هَلْ مِنْ دَاعٍ ! ﴾ الحديث ...... فالمرادُ نزول مَلَك الرحمة ، فهو على حذف المضاف ؛ وإقامة المضاف إليه مكانه . فلا نزولَ له .. ولا طلوع ، لأنَّ الله مخالِفٌ لمخلوقاته .. في ذاته ؛ وصفاته ؛ وأفعاله .

وقد سأل بعضُ العارفين النَّبيَّ ﷺ في المنام عن حقيقة التوحيد ؛ فقال ﷺ : « كُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ .. فَٱللَّهُ بِخَلَافِ ذٰلِكَ » فقلتُ : ما حقيقةُ العقل ؟ فقال : « أَدْنَاهُ تَرْكُ ٱلدُّنْيَا وَأَعْلَاهُ تَرْكُ ٱلتَّفْكِيرِ فِي ذَاتِ ٱللهِ » . فقلتُ : ما حقيقةُ الفَقر ؟ [فقال :] هو : « أَنْ تَمْلِكَ شَيْئاً .. وَلاَ يَمْلِكك شَيْءٌ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ ٱلحَالَيْنِ رَاضٍ عَنِ ٱللهِ » ! فقلت : ما حقيقةُ التصوُّفِ ؟ فقال : « تَرْكُ ٱلدَّعَاوِي وَكِتْمَانُ ٱلمَعَانِي » اهـ (حسن العدوي : إرشاد المريد) . المؤلّف .

(٢) أقسام الموجودات بالنسبة للاستغناء وعدمه :

١ ـ هو ما لايفتقر للاستغناء وعدِمه ، وهو ذات الله تعالى فلا يفتقر لشيء .

٢ ـ يفتقر للاستغناء وعدِمه ، وهو صفاتُ الحوادث ، فإنّها مفتقرة .

٣ ـ ما يقوم بمحلٍّ دون مخصِّص ؛ وهو صفات الباري عزَّ وجلَّ .

٤ ـ ما يقوم بمخصص دون محل وهو ذات المخلوقين . اهـ (إرشاد المريد) . (المؤلّف) .

الدليلُ النقليُّ على قيامه تعالى بنفسه هو قوله تعالى ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] .

الدليل العقليُّ هو : أنَّه لو افتقر إلى غيره ؛ أو إلى مكان ؛ أو زمان . . لكان حادثاً مثله . وقد ثبت أنَّه قديم ، فهو قائم بنفسه غيرُ محتاج للغير ، ولو كان فقيراً محتاجاً لغيره . . لم يوجد شيئاً من هذه الكائنات !! .

* * *

٥ ـ الوحدانية : هي : عدمُ التعدُّد . . في الذات ؛ وفي الصفات ؛ وفي الأفعال ، فلا شريك له . . في ذاته ؛ ولا في صفاته ؛ ولا في أفعاله .

[وهي أشرف أبحاث هذا الفنِّ ، ولذا سُمّي به فقيل « علم التوحيد » .]

الدليل النقليُّ على الوحدانية هو قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] . أي : هو واحد لا ثانيَ له(١) .

الدليل العقليُّ على الوحدانية : أنَّ إتقان صنع هذه المخلوقاتِ يدلُّ على أنَّ الصانع واحدٌ ، ولو تعدَّد الصانع . . لتفاوتت الصَّنْعة واختلف بعضها عن بعض ، لكنَّ صنعةَ الكون منتظمةٌ بديعة غيرُ متفاوتة ؛ ولا مختلفة . وهذا ممَّا يدلُّ على أنَّ الصانع منفرِدٌ بديعُ الصُّنع ؛ لم يشارِكْهُ في صُنْعه أحد ، ولو شاركه أحدٌ [. . لوُجِدَ الاختلاف والتفاوت في الصنع ، و] لفسدت الكائنات ، وذلك مصداقُ قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وهو منزَّهٌ عن الشريك والضِّدِّ ، والزوجة والولد والوالد ؛ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) وكقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1] .

ملاحظة : إنَّ ذات الله تعالى لا تشبه ذواتِنا ، لأنَّ الخالق لا يشبه المخلوق ، وهو أعلمُ بحقيقة نفسه . وكذا صفاتُه لا تشبه صفاتِنا ، وليس له إلاَّ صفة واحدة لا تتعدَّد . وله إرادة واحدة ، وقدرة واحدة ، يوجد بها الأشياء ويعدمها متى شاء ، وكذلك باقي صفاته فإنَّها لا تتعدَّد .

* * *

ثالثاً : صفات المعاني

وتسمَّى صفاتُ الذَّات ؛ وهي : ١ - القدرة ، ٢ - الإرادة ، ٣ - العلم ، ٤ - الحياة ، ٥ - السمع ، ٦ - البصر ، ٧ - الكلام .

وسُمِّيت « صفات المعاني » ؛ لدلالة كلٍّ منهما على معنىً قائمٍ بذاته تعالى .

---

(١) تقول : لو تعدَّدت الآلهة .. لم تتكوَّن السماوات والأرض ، لأنَّ تكوُّنَهما .. إمَّا بمجموع القدرتين ؛ أو بإحدهما ، وكلاهما باطل .
فإن كان بمجموع القدرتين !! فيكون قد وقع أثر مؤثرَيْن على واحد ، وهو محالٌ ، وحقيقة القادر : أن لا يحتاج إلى مساعد في قدرته ، وإن احتاج ؟ فهو عاجزٌ ، وليس الله بعاجز ! لأنَّ الله قدرته تتعلَّق بكلِّ ممكن ، وأمَّا الثاني .. فتكوين الخلق بأحدهما ، فيلزم من عجز الآخر والإله ليس بعاجز !!
ملاحظة : روى الشعراني في « اليواقيت » عن ابن العربي قال : إنَّما كان المريد لا يفلح بين شيخَيْن ! قياساً على عدم وجود عالَم بين إلهين ، وعلى عدم وجود المكلَّف بين رسولين ، وعدم وجود امرأة بين زوجين . اهـ (المؤلف)

والمعتزلةُ لا يثبتون صفات المعاني ، وإنَّما يثبتون الصفاتِ المعنويَّةَ .

١ ـ القدرة : هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكيفه على وفق الإرادة ، وقدرته تعالى قديمة ليست كقدرتنا الحادثة [فهي لا تَتَعلَّق إلا بالممكن فقط ؛ كالإرادة](ص) .

الدليل النقليُّ على قدرته هو قولُه تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

الدليل العقليُّ على قدرته هو : أنَّه لو لم يكن قادراً . . لكان عاجزاً ، ولو كان عاجزاً . . لم يخلق شيئاً من هذه الكائنات التي أتقنَ صنعَها الصانعُ الحكيم .

تعلُّق القدرة : لا تتعلَّق القدرة إلاّ بالممكنات ، فهو قادر على إيجادِ كلِّ شيء وإعدامِه ، فلا تتعلَّق بالواجب ؛ ولا بالمستحيل ، وقدرتُه تعالى واحدةٌ لا تتعدَّد ، ولكنَّ المقدوراتِ تتعدَّد .

ملحوظة : كلُّ ما تُخصِّصُة الإرادة من الممكنات تُبرزه قدرتُه تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

* * *

٢ ـ الإرادة : هي صفة أزليَّة ، قائمة بذاته تعالى ، تخصِّصُ الممكن ببعض ما يجوز عليه . أي : وفق علمه تعالى الأزليِّ . . من وجودٍ ؛ وعَدَم ؛ وكيفيَّة ، [وهي بمعنى المشيئة ، والاختيار](ص) .

الدليل النقلي على الإرادة هو قوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٦] .

الدليل العقلي على الإرادة هو : أنّه لو لم يكن مريداً مختاراً . . لكان مكرَهاً على خلق المخلوقات ؛ ولكان عاجزاً ، ولو كان عاجزاً . . لم يخلق

شيئاً من هذه الكائنات ، وقد وجدت . . فهو غيرُ مكرَه على شيء ، بل مريدٌ لها ، وكلُّ شيء في هذا الكون بإرادته تعالى .

؟ [أنواع الممكنات المتقابلات : وهي ستٌّ : ١ - الوجود ، و٢ - المقادير ، و٣ - الصفات ، و٤ - الأزمنة ، و٥ - الأمكنة ، و٦ - الجهات .

فشأن الإرادة : ترجيح طرفَيْ الممكن على مقابله ؛ وهو الوجود على العدم . . . إلى آخرها](ص) .

تعلّق الإرادة : وتتعلق الإرادة أيضاً بالممكنات ، كما تتعلّق بها القدرةُ ، فلا تعلّق لها بالواجب ؛ ولا بالمستحيل ، وإردتُه واحدة لا تتعدَّد ، ولكن المراد يتعدَّد . ولهذا البحث شروحٌ تجدها في المطوّلات[1] .

ملحوظة : إذا وعد الله بشيء أنجزه من غير أن يُجبَر عليه .

ووعدُ الله المؤمنين بالجنة . . فهو يُنجِزُه . وأمَّا وُعيده . . فقد يُخلِفُه كرماً

---

(١) تقسيم أمره إلى (٤)

١ - فقد يأمر . . ويريد ؛ كالإيمان ممّن وقع منه .

٢ - لا يأمر بالشيء . . ولا يريده ؛ كالكفر من المؤمن .

٣ - وقد يأمر . . ولا يريد ؛ كالإيمان من الكفار .

٤ - وقد يريد . . ولا يأمر ؛ كالكفر والمعاصي ممَّن اتَّصف بهما .

غيرَ أنَّ اللائق النسبةُ لله الخير ونسبةُ الشرّ لأنفسنا ؛ تأدُّباً . . . . . قول سيّدنا إبراهيم الخليل ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ فنسب المرض لنفسه والباقي لله ، وإلاَّ فالكلُّ من أفعاله !

والشاهد لنا قولُه تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . . من خير أو شرّ اختياري أو اضطراري . (المؤلف) .

منه وجوداً ، فيغفر للعصاة ؛ ولو أوعدهم بالعذاب . . إن شاء . ولا يسمَّىٰ هذا « خلفاً » بل « جوداً منه وكرماً » .

وأمَّا الكفار . . فقد أخبر الله عن خلودهم في نار جهنَّم .

* * *

٣ ـ العلم : هو صفة أزليَّة ، قائمة بذاته تعالى ، تنكشف بها جميع المعلومات ؛ إجمالاً وتفصيلاً . . على ما هي عليه ؛ من غير سبق خَفَاء[١] ، وهي مخالفة لعلمنا الحادث ، وعلمُه غنيٌّ عن كلِّ شيء .

تعلُّق العلم : يتعلَّق علمُه بجميع الممكنات ؛ والواجبات ؛ والمستحيلات . . على ما هي عليه ، وعلمُه أزليٌّ يحيط بما هو كائن ، وما كان ؛ وما سيكون ، ولا يشبه علمَنَا الحادثَ المحدود .

الدليل النقلي على وجوب العلم له تعالى هو قولُه تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٦٤] ، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وعلمُه واحد لا يتعدَّد ، وإنَّما يكون التعدُّد في المعلومات .

الدليل العقلي على علمه تعالى : هو أنَّه لو لم يكن عالماً . . لكان جاهلاً ، ولو كان جاهلاً . . لم يخلق شيئاً من هذه المخلوقات ، فالعلم واجبٌ له والجهل نقصٌ في حقِّه ؛ وهو مستحيل عليه وعلمُه أزليٌّ يحيط بكلِّ شيء ؛ لا يشبه علمَنَا الحادث الناقص .

ملحوظة : لم يكتسب علمه من غيره لأنه دليل النقص في حقه تعالى وهو محال عليه لأن العلم المكتسب حادث الاكتساب وعلمه قديم [illegible] يعلم

---

(١) في الحال ؛ أو الاستقبال . (المؤلف) .

ما كان وما سيكون وما هو كائن ، وغيره لا يعلم[1] .

* * *

---

(١) الإدراك وتعريفه

لأجل أن ندرك الأشياء على حقائقها .. يجب أن نعلم أقسامَ الإدراك ، وأقسامُ الإدراك أربعةٌ .

(١) أولها العلم : وهي صفة ينكشف بها المجهولُ انكشافاً تاماً ، ويكون .. إمَّا

١ ـ بالنظر الصحيح ؛ كعلمك أنَّ لك صانعاً ، وخالقاً مغايراً لك وأعظمُ منك ، لأنَّك صنعتُه ، ويكون أرقىٰ منها ، أو لعلمك (الواحد نصف الاثنين) ، فقد أدركتَ الأشياء على حقائقها .

٢ ـ أو بالحس ، لأنَّك ترى ابنك يأكل ، فقد رأيتَه بعينك يأكلُ !

٣ ـ أو بالتجربة ؛ كعلمك بأنَّ النار تحرق ، فالتجربة قامت مقام العلم .

٤ ـ أو بالخبر المتيقَّن الصادق ؛ كعلمك بالقرآن الكريم بوجود جنَّة ؛ ونار ؛ وملائكة .

أو علمُك من الأحاديث المتواترة ، وبمعان محكمة ؛ مثل الصوات الخمس ، وعدد ركعاتها وسجداتها .

والخبر المتواتر هو الذي يخبر به جماعة كثيرون لا يجوِّزُ العقل تواطُؤَهم على الكذب .

(٢) وثانيها الظنّ :

وهو : إدراك الطرف الراجح ؛ كإدراكك مجيء زيد من سفره ، لأنَّ رجلاً صادقاً أخبرك بمجيئه مع احتمال عدم مجيئه ، لجواز أن يكون الخبر متوهَّماً ، أو تلقَّىٰ الخَبَرَ ممن كذب عليه !!.

(٣) ـ الوَهَم : هو إدراك الطرف المرجوح ، وهو عكس الظنّ ؛ كما إذا أدركتَ عدم مجيء زيد من سفره .

(٤) ـ الشكُّ : وهو تساوي الوجهين ؛ كتساوي مجيء زيد من سفره ؛ وعدم مجيئه .. عند الإخبار عنه . ـ على القول به ـ فذكرناه بحروفه لمناسبته . (المؤلِّف) .

٤ ـ الحياة : هي صفة أزليّة ، قائمة بذاته تعالى ، يصحّ . . لمن قامت هي به أن يتّصف بالقدرة والإرادة والعلم ، والسمع والبصر والكلام .

الدليل النقلي على حياته تعالى هو قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

الدليل العقلي على حياته تعالى : لقد ثبت أنّه خالق لهذه الكائنات ، فلو لم يكن حيّاً . . لم يخلق شيئاً منها ، ثمّ لا يجوز عقلاً أن يمنح المخلوقاتِ الحياةَ ؛ ولا يكون حيّاً .

تعلُّق الحياة : لا تتعلَّق بشيء ، فلا تعلّق لها بالواجبات ؛ ولا بالجائزات ؛ ولا بالمستحيلات .

* * *

٥ ـ السمع : هو صفة أزليّة ؛ قائمة بذاته تعالى ، تنكشف بها المسموعات . . على ما هي عليه ، وهي مخالفة لسمعنا الحادث الذي يحتاج إلى أذن ؛ وصوت ؛ وهواء .

ودليله النقليُّ قولُه تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ .

* * *

٦ ـ البصر : هو صفةٌ أزليّة ؛ قائمة بذاته تعالى ؛ تنكشف بها المُبْصَرات . . على ما هي عليه ، وليس بصرُه بآلةٍ ؛ أو جارحة ، لأنّه لو كان كذلك . . لكان مثل المخلوقات محتاجاً لغيره ؛ وهو محالٌ . والبصر يتعلّق بالمبصرات الموجودات .

ودليله النقليُّ هو قوله تعالى ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

* * *

٧ ـ الكلام : هو صفة أزليّة ، قائمة بذاته تعالى ، منزّهةٌ عن الحرف والصوت ؛ وعما يشبه كلامنا ، يأمر بها وينهىٰ ، ويخبر عمّا يريد .

الدليل النقليُّ هو قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

الدليل العقليُّ هو : أنه لم يكن متكلّماً .. لا تّصف بضدّه ؛ وهو الخَرَس ، وذلك نقص في حقّه تعالى .

تعلُّق الكلام : يتعلّق الكلام بالواجبات والجائزات والمستحيلات ، وكلامه النفسيُّ غيرُ مخلوق ، بل هو قديم . أما الحروف التي نقرأها في المصاحف .. فقد عبّر بها عن كلامه القديم لأجل البشر ، وأمّا كلامه .. فهو منزّه عن الحرف والصوت ، وهو ليس بمخلوق ، لأنّه لو كان مخلوقاً(١) .. لكان حادثاً ، وهو محال .

---

(١) إن كلامه ليس كمثل كلامنا ؛ مركّباً من حروف وأصوات حادثة بواسطة تموُّج الهواء ! بل كلامُه تعالى صفةٌ نفسيَّةٌ منزَّهة عن الحرف والصوت ، قديمة دائمة ، ليس لكلامه ابتداءٌ ؛ ولا انتهاءٌ ، أدركه سيِّدُنا موسى .. لا بأذُن ، كإدراك كلام المخلوقات ، بل رَفَع الله عنه الحجابَ ؛ حجابَ قيود البشرية ، ففهم الخطاب منزَّهاً عن الحروف والصوت لا كما يزعمه المعتزلة الجهلاء !!
والحقيقة أنَّ الكلام أوَّل ما يجري في القلب ، ولذلك قال الشاعر العربي الفصيح :
إِنَّ ٱلكَـلَامَ لَفِـي ٱلفُـؤَادِ .. وَإِنَّمَـا جُعِـلَ ٱللِّسَـانُ عَلَـىٰ ٱلفُـؤَادِ دَلِيـلَا
فهذا العربي الذي هو حجّة في اللغة .. جعل الكلام الحقيقيَّ في حديث النفس الذي هو في الفؤادُ ، وكلامُ الفؤاد مجرَّدٌ عن الحروف والأصوات (المؤلّف)

وتقسم هذه الصفات السَّبع بالنسبة إلى متعلَّقاتها إلى أربعة أقسام . . على قول الجمهور .

١ ـ العلم والكلام : يتعلَّقان بالواجبات والممكنات والمستحيلات .

٢ ـ الإرادة والقدرة : يتعلَّقان بالممكنات فقط .

٣ ـ السمع والبصر : يتعلَّقان بالموجودات .؟

٤ ـ الحياة : لا تتعلَّق بشيء أبداً .

* * *

رابعاً : الصفات المعنوية

وهي نتائجُ صفات المعاني السابق ذِكْرُها . أي الأحكام التي تترتَّب على ثبوت صفات المعاني ، وهي كونُه جلَّ جلاله : قديراً ، مريداً ، عليماً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلّماً ، حيّاً .

* * *

[بيان مُتَعلّقاتها . . على قول بعض المتكلِّمين تنقسم بحسب متعلّقاتها إلى أربعة أقسام

١ ـ ما يتعلّق بالواجبات والممكنات والمستحيلات ؛ وهي كلٌّ من صفتي العلم والكلام .

٢ ـ ما يتعلَّق بالممكنات فقط ؛ وهي كلٌّ من صفتي الإرادة والقدرة .

٣ ـ ما يتعلَّق بالموجودات فقط ؛ وهي كلٌّ من صفتي السمع والبصر .

٤ ـ لا يتعلَّق بشيء ؛ وهي صفة الحياة](ص) .

* * *

ب - فيما يستحيل في حقِّه تعالى

يستحيل في حقِّه تعالى أضداد الصفات المتقدّم ذكرها .

فضِدُّ الوجود العدمُ ، وضِدُّ القدم الحدوثُ ، وضِدُّ البقاءِ الفناءُ ، وضِدُّ مخالفته تعالى الحوادث مشابهتُه لها ، وضِدُّ قيامه تعالى بنفسه افتقارُه لغيره ، وضِدُّ الوحدانية التعدُّدُ في الذات والصفات والأفعال ، وضِدّ القدرة العجزُ ، وضِدّ الإرادة الكراهيةُ ، وضِدّ العلم الجهلُ ، وضدّ الحياة الموتُ ، وضِدُّ السمع الصمم ، وضدّ البصر العمى ، وضدّ الكلام الخرس .

فهذه الصفات كلُّها مستحيلةٌ عليه تعالى ، لأنَّها صفات نقصان ، فلا تليق بذاته تعالى ، إذ هو لا يتّصف إلاّ بصفات الكمال .

* * *

جـ - فيما يجوز في حقّه تعالى

يجوز في حقّه تعالى فعلُ كلِّ ممكن ؛ أو تركه ، كإيجاد الأشياء وإعدامِها . فهو فعّال لما يريد ، والله يخلق ما يشاء ؛ ويمحو ما يشاء ؛ ويثبت ما يشاء .

ملحوظة : ومن الجائز في حقِّه تعالى إرسالُ الرُّسل للمخلوقات ، وسيأتي عنها ص٥٣ . واعلم أنَّ الله تعالى متَّصف بكلِّ صفات الكمال ، ومنّزه عن كلِّ صفة نقص ، وهو غنيٌّ عمَّا سواه ، وأنَّ كلَّ ما سواه محتاج إليه .

* * *

خاتمة : « لا يجب على الله شيء »

يجبُ علينا أن نعتقد أنَّ الله تعالى لا يجبُ عليه شيء ، فلا يجبُ عليه الأصلحُ والأنفعُ للعباد ، بل هو فعّال لما يريد ، ليس له مُكرِه ؛ ولا موجِبٌ على الفعل ، ولا على الأصلح ، وربُّك يفعل ما يشاء ، فهو قد خلق العباد وخلق أعمالهم من خير وشرّ ، ولكننا نُسند الخيرَ لله ؛ كما نسند الشرَّ لأنفسنا ؛ تأدُّباً معه ، وخلق الثواب والعقاب(١) .

الدليلُ النقليُّ على أنَّه لا يجب عليه شيء هو قوله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦] ، وقوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

الدليل العقلي : هو أنَّ الله تعالى خالقٌ للعباد ولأفعالهم باختياره ، فلو وجب عليه فعلُ شيءٍ . . لَمَا كان مختاراً ، لأنَّ المختار : مَن يصدر عنه الفعل ؛ أو الترك . والأفعال كلُّها مخلوقةٌ لله تعالى .

وكذلك لا يجبُ على الله إرسالُ الرسل ، بل جائز في حقِّه تعالى ؛ خلافاً للمعتزلة والفلاسفة ، لأنَّ الله قادر على هداية المخلوقات بالإلهام منه . . من غير إرسال الرسل ، وما أرسل الرسل إلاّ فضلاً منه ورحمة . اهـ .

أسماؤه العظيمة سبحانه وتعالى

الاسم : هو ما دلّ على الذّات بمجرَّده ، كـ « الله » و« الرحمان » .

والصفة : هو ما دلّ على معنىً زائدٍ على الذات .

وأسماؤه توقيفية ، أي : يمتنع إطلاق اسم عليه إلاّ إذا ورد ١ ـ في

---

(١) فلا يجب على الله مراعاة الصلاح والأصلح ، كما لا يجب عليه شيء ، خلافاً للمعتزلة . (المؤلف) .

القرآن ، أو ٢ ـ بسنّة صحيحة ؛ أو حسنة ، أو ٣ ـ إجماع ، وما عدا ذلك لا يصحّ إطلاق اسم عليه .

من الأسماء ما قد يُوهم معنىً لا يليق به .. كـ « الصبور » ؛ و« الشكور » ؛ و« الحليم » .

فالصبور : يُوهم وصولَ مشقَّة له تعالى ، وهذا لا يليق به تعالى !! فيفسَّر بالذي لا يعجِّل بالعقوبة على مَن عصاه .

وكذلك الشكور : يُوهم كثيرَ الشكر لمن أحسن إليه ، مع أنَّ الإحسان كلَّه من الله ، فيفسَّر في حقِّه تعالى بالذي يجازي على يسير الطاعات كثيرَ الدرجات .

لذلك يلزم علينا حفظُ الأسماء والصفات ، لأنَّها لا تطلق عليه إلاّ بإذن شرعي ، وهو ما جاء في القرآن ، أو في السنّة الصحيحة ؛ أو الحسنة ، أو الإجماع .

ثمَّ أسماء الله تعالى كلُّها عظيمة .

واختلف فيها بتفاضل بعضها على بعض ، أمْ كلُّها متساوية !؟ فقيل : إنَّها متفاضلة . وقال ابن العربي : إنَّ أسماء الله متساويةٌ في نفسِ الأمر ؛ لرجوعها كلِّها إلى ذات واحدة .

والحقُّ أنَّها متفاضلة ، وأعظمُها اسمُ الجلالة الاسمُ الأعظم ، وهو « الله » كذا قاله كثيرٌ . فكُلٌّ من أسمائه وصفاتِ ذاتِه قديمٌ ، وليست صفاتُه مِن وضع خلقه تعالى ، بل من إطلاق الشرع عليها .

ملحوظة : أمّا أسماءُ النّبيِّ ﷺ .. فهي توقيفيَّة اتفاقاً ؛ لا اختلاف فيها .

* * *

أسماء الله الحسنى

الأسماءُ : ما قابلت الصفات ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

هو اللهُ الذي لا إله إلاّ هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدّوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبّار ، المتكّبر ، الخالق ، البارئ ، المصّور ، الغفّار ، القهّار ، الوهّاب ، الرزّاق ، الفتّاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعزّ ، المذلّ ، السميع ، البصير ، الحَكَم ، العَدْل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العليّ ، الكبير ، الحفيظ ، المغيث ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحقّ ، الوكيل ، القويُّ ، المتين ، الوليّ ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحيّ ، القيّوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدّم ، المؤخّر ، الأوّل ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البرّ ، التواب ، المنتقم ، العفوّ ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنيُّ ، المغني ، المانع ، الضارُّ ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

وقد ورد عن النَّبيِّ ﷺ من حديث سفيانَ بنِ عيينة ؛ عن أبي الزِّناد ؛ عن عبد الرحمان بن هرمز ؛ مرفوعاً : « إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَاً ، مَنْ أَحْصَاهَا

دَخَلَ ٱلجَنَّةَ »[1] .

ملحوظة : وفي القرآن من أسماء الله تعالى ما لم يذكر في هذا الخبر كـ« رفيع الدرجات » ، ونحو ذلك ، فكلُّ ما نطق به القرآن من أسماء الله تعالى ، أو وردت به السنَّة الصحيحة ، أو أجمعت عليه الأُمَّة من أسمائه تعالى جائزٌ إطلاقُه عليه[2] . وما خرج من هذه الأقسام .. فلا يجوز وصف الله عزّ به . اهـ .

ملحوظة : ومعنى « مَنْ أَحْصَاهَا .. دَخَلَ ٱلجَنَّةَ » .. لم يَرِدْ به من أحصاها لفظاً ، إذ قد يحصيها المشركُ والمنافق ؛ وليسا من أهل الجنة !! وإنَّما أراد مَن أحصاها واعتقدها ؛ ومات على ذلك .. فهو من أهل الجنَّة .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري : ٦٤١٠ ، ومسلم : ٥ ـ ٢٦٧٧ ؛ ببعض اختلاف بين رواياته .

(٢) أوصل بعضهم الأسماء إلى حوالي مئتين وثلاثين اسما في رسالة أسماها « الجامع الأقصى » نشرناها مع كتاب « ولله الأسماء الحسنى » للشيخ أحمد عبد الجواد رحمه الله ، فراجعها .

الفصل الثالث

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

١ ـ المتشابه

قسم الله آيات الكتاب العزيز . . إلى ١ ـ آيات متشابهات ، و٢ ـ آيات محكمات .

المتشابه: هو ما يحتمل أكثر من وجه؛ مثل ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] وأمثاله .

فقالت طائفة بأن تأويله مما يمكن أن يعلمه الراسخون في العلم .

وقال الأكثرون من الصحابة والتابعين بأنّ المتشابه لا يمكن أن يعلم تأويله إلاّ الله .

ولا يتبع المتشابه إلاّ أهل الفتن لإثارة الشكوك في الدِّين إلاّ مَن يتمكَّن في التفسير لدفع اعتراض المعترضين .

وفي القرآن آيات محكمات سُمِّيت « أم الكتاب » ، أي : أصل التشريع . لأنها يُعتَمد عليها في هداية الخلق ، في كلِّ ما تَعَبَّدَهم فيه .

حكمة المتشابه في القرآن

إنّ المتشابه الذي لم يكن أمّ الكتاب ، ولا يَتَوقَّفُ على معرفةِ تأويله فهمُ مغزى الشريعة . .

فحكمته : امتحان إيمان المؤمن ، ليكون له فضل في إيمانه ، ولذلك كان حكم المتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها ؛ استسلاماً له في محكمها

ومتشابهها ، ويمكن أن يُطْلع عباده على ما تشابَهَ منها .

* * *

٢ ـ المحكم

المحكم هو : ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً ؛ كالحلال والحرام .

وهو لا يتطرّق إليه تأويلات المتشابه ؛ كما ذكرنا .

والمحكم لا يحتمل النسخ . اهـ .

٣ ـ الآيات المتشابهات

قد يوجد في القرآن الكريم آياتٌ متشابهات بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ؛ تدلُّ على الحدوث وشَبَهِهِ بالمخلوقات !!

هذا بحسب الظاهر ؛ كقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وكقوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، وكقوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

فيجب علينا تنزيه الله تعالى عن مماثلته للمخلوقات ؛ ومشابهته لهم [ذاتاً ؛ وصفاتٍ ، وأفعالاً](ص) .

وفي تفسير هذه الآيات مذهبان :

١ ـ مذهب السلف : وهم لا يؤوِّلون هذه الآيات(١) ، بل يقولون : إنَّ لله يداً هو أعلمُ بحقيقتها ، ونفوِّضُ علمَها إلى الله تعالى ، وله وجهٌ هو أعلمُ

(١) التي يدلُّ ظاهرها على التشبيه بالمخلوقات ؛ وعلى التجسيم ؛ كاليد والوجه ، وغير ذلك (المؤلف) .

بحقيقته ، واستوى على العرش استواءً هو أعلم بحقيقته تعالى ، وهكذا جميعُ الآيات المتشابهات يفوّضون أمرَها إلى الله تعالى مع الإيمان بها ، كما قال تعالى من غير تأويل !!

٢ ـ مذهب الخلف : إنَّ هؤلاء يؤوِّلون المتشابه ؛ فيقولون يد الله أي : قدرته ، (الرحمن على العرش استوى) أي : استولى ، (وجه الله) أي : ذاته . ولا ينسبون إلى الله شَبَهه بالمخلوقات ؛ ولا مماثلتها له ، لأنَّه خالق . . وغيرُه مخلوق .

وكلا المذهبين صحيحٌ ، ولكن مذهبَ السلف أسلمُ للعقيدة .

ملحوظة : ولقد كان السَّلف رضي الله عنهم أجمعين يزجرون مَن يسأل عن المتشابه ، ويُلِحُّون على زجره . فلقد رُوي أنَّ رجلاً سأل الإمام مالكاً رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ؟! فأجاب قائلاً : الاستواءُ غير مجهول . والكيفُ غير معقول . والإيمانُ فيه واجبٌ ، والسؤال عنه بدعة . وما أظنُّك إلاّ ضالاً !! فأمر به فأُخرج من مجلسه .

ولقد ورد عن الإمام الغزاليِّ رحمه الله تعالى قال . . في قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ : إذا قلتُ (له يدٌ هو أعلم بحقيقتها) . . أيكون هذا حقيقة ؛ أم مجازاً ؟ فقال : لا ، بل هو حقيقة . وإذا قيل (إنَّ يده هي قدرتُه ، أو إرادته) . . أليس هذا مجازاً ؟ فقال : هو مجاز ؛ لا حقيقة .

ثمَّ قال : فلا يصحُّ لنا أن نترك الحقيقة ونتبع المجاز ؛ مع القدرة على الحقيقة .

فاختار رضي الله عنه مذهبَ السلف ، لأنَّه أسلم .

* * *

الفصل الرابع

أفعال العباد

أفعال العباد على قسمين : ١ ـ اختياريه ، و٢ ـ اضطرارية .

١ ـ فالأفعال الاختيارية : هي التي تصدُر عن قصدِ العبد وإرادته ؛ كالأكل ، والشرب ، والقيام ، والقعود ، وأمثال ذلك ، **ففيها اختلاف .**

أمّا أهل السنّة والجماعة فيقولون : إنَّ أفعال العبد الاختياريةَ مخلوقةٌ بقدرة الله تعالى ، وليس للعبد تأثيرٌ فيها ، لكن له اختيارٌ وكسب لها . فإنْ وُفِّق العبد وصلّىٰ وصام وعمل الطاعات ؛ فهو بتوفيق الله عزّ وجلّ . فالفاعلُ هو الله ، والعبدُ محلٌّ لظهور طاعته ، وتُنسَب هذه الأفعال إلى العبد ظاهراً ؛ وإلى الله باطناً . ولذلك قيل : « مِنْ فضل الله عليك أن خَلَقك ووفَّقك ونسب إليك » .

فكلُّ شيء من الخير والشرّ بإرادته تعالى ، لكن من الأدب أن نُسندَ الخيرَ لله والشرَّ لأنفسنا . فقد رُوي أنّه جِيء لعمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل مسيحي يقول (الخيرُ من الله والشرُّ من أنفسنا) . فقال له : ماذا تقول ؟ فقال : الخير من الله والشر من أنفسنا . فقال له سيِّدُنا عمر : بل الله أضلّك ، لولا سبقُ عهدٍ لك في الإسلام لعلوتُ الذي فيه عيناك . أي : رأسه . وأعلمه بأنَّ الخير والشرَّ من الله تعالى ، لأنه تصرّف في ملكه . . ولم يتصرَّف في ملك غيره .

٢ ـ أمّا الأفعال الاضطرارية . . فهي التي تصدُر عن العبد بدون اختياره

وإرادته ؛ كرعشته ، وإغمائه ، وسقوطه من شاهق[1] ، وبنبضه وتحرُّك قلبه ، وأمثالُ ذلك كثيرٌ .

فقد أجمع عليها أهل السنَّة والجماعة وغيرهم ؛ من المعتزلة والجَبْرية . . على أنَّها مخلوقةٌ بقدرة الله تعالى بلا خلاف . وليس للعبد كسبٌ ولا اختيار فيها . وإنَّما الخلافُ في الأفعال الاختيارية .

* * *

(١) المكان العالي (المؤلف) .

الباب الثاني

* الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
* الكتب السماوية .
* سيدنا محمد ﷺ .
* التقليد الفروعي .

الفصل الأول

الأنبياء والرسل

مدخل

في حكمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

من المعلوم أنَّ الله تعالى خلق العباد وكلّفهم بطاعته وأمرهم بترك معاصيه ، ثمَّ فرض عليهم العقاب في الآخرة على مخالفتهم لأوامره . فإنْ لم يرسل لهم رسلاً ليعلّموهم ما أوجب عليهم من التكاليف ، ثمَّ عاقبَهم بعد ذلك على كفرهم وعصيانهم . . لقالوا (ربّنا لو أرسلت إلينا رسلاً تدلُّنا على الحقِّ ؛ وتنهانا عن الباطل . . لأطعناهم ولم نعصِ لك أمراً ، ونحن لا نعلم طريق الخير من الشرِّ) !! .

لذلك أرسل الله الرسل إلى خلقه بمقتضى حكمته ، وأمرهم بتبليغ ما أمروا بتبليغه . . من عقائد دينية ؛ وأحكام شرعية ؛ وعبادات ؛ ومعاملات ؛ وآداب اجتماعية ، فقام يعارضهم أهلُ الأهواء والمنافع الذاتيّة ؛ حرصاً على زعاماتهم ورياساتهم الدنيوية ، بطرق شتى :

منها : تكذيبُهم ، والهزء بهم . فمرّة يصفونهم بالسحر والجنون . وأُخرى بالشعر والكذب ، فجاءت عند ذلك الرسل بالمعجزات لتثبيت دعوى الرسالة التي جاءوا بها من عند الله لقمع حُجَج المكذِّبين ودحضِ براهين المبطلين .

ملاحظة : لا يجبُ على الله إرسال الرسل بل جائز في حقه ، فقد يلهم

العقول ما يغنيهم عن الرسل ، لكن إرسال الرسل للناس كان رحمة منه وفضلاً ، خلافاً للمعتزلة[1] .

فالحكمةُ من إرسال الرسل : أنَّ النفوس قد جُبِلت على الحرص والطمع وحُبِّ الشهوات ، ولو تركت من غير تعليم . . لطغت وجارت لنيل شهواتها ، فبعث للناس أنبياءَ لا يعلم عددَهم إلاّ اللهُ . وأرسل لهم رسلاً نعلم منهم خمسةً وعشرين رسولاً ؛ قد ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز .

---

(١) مبحث إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

١ ـ مذهب أهل السنّة : يجوز على الله تعالى عقلا إرساله لجميع الرسل . أي : لا يجب على الله تعالى إرسالهم ، ولا يستحيل عليه أيضاً إرسالهم .

٢ ـ مذهب المعتزلة والفلاسفة : قالوا يجب على الله تعالى أن يبعث الرسل إلى الخلق ، لأنه الأصلح لهم ؛ ليدلُّوهم على ما يريده منهم .

ومبنى كلامهم على وجوب الأصلح على الله ، وقد مرّ بطلان دليلهم من قبل ص٤٥ .

٣ ـ واتفق الفرقة السمنيّة والبراهمة على أنّه يستحيل على الله عقلاً أن يرسل الرسل .

ودليلهم : أن إرسال الرسل عبث ، لأنّ العقل يستغني به الإنسان ، ويجعلون الحَسَن ما حسَّنه العقل والقبيح ما قبّحه العقل ، وهو باطل ، لأنّ لا عقل يساوي معقولُه معقولَ عقلٍ آخر .

وصفوة القول عند أهل السنّة : لا وجوب ؛ ولا استحالة على الله من جهة إرسال الرسل ، بل هو جائز ، وقد وقع ، وأُرسلوا رحمة منه لعباده ومنّةً .

وقد يعاضد العقلُ للشرع عند أهل السنّة .

إن العقل يعضد الشرع في كثير من الأشياء ؛ منها :

١ ـ استفادة الحكم من الأنبياء في الذي لا يستقلُّ العقل به ؛ كالحشر والنَّشر ، ورؤية الله تعالى في الآخرة .

٢ ـ ومنها : بيان ثواب المطيع لله ، وعقابُ العاصي في الحسنات والسيئات ، وغير ذلك من الفوائد . (المؤلّف)

المبحث الأول

الإيمان بالأنبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام

ـ حكم الإيمان بالأنبياء والرُسل عليهم الصلاة والسلام :

إنَّه من الواجب علينا أن نؤمن بأنَّ الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياءَ إلى الأمم ، وقد اختارهم واصطفاهم من خيار خلقه .

ب ـ « في النُّبوَّة »

تعريف النُّبوَّة : هي اختصاصٌ إلهيٌّ من عند الله تعالى ؛ يهبه لمن يشاء من عباده أزلاً ، ويعينه عليها . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

لذلك لمّا نزل جبريل عليه السلام على المصطفى ﷺ . . لم يعرفه ، ولم يعلم أنَّ الله اختاره رسولاً واختصَّه نبيّاً . فقال له ﴿ اَقْرَأْ ﴾ . فقال : ما أنا بقارىء لأنَّه لم يعلم ما يكون مستقبله . ورجع إلى زوجه وأخبرها بما حصل ، فأخذت بيده وذهبت إلىٰ ورقةَ بنِ نوفل وسألته عمّا حصل للنَّبيِّ ﷺ . فأنبأها بأنَّه سيكون نبيَّاً مختصّاً برسالته للناس كافَّة ، وقال : (يا ليتني كنت معه لأنصرنّه نصراً مؤزّراً) فحينئذ علم المصطفى ﷺ أنَّه رسولٌ مرسَل .

الفرق بين الرسول والنَّبيِّ

الرسول : إنسان ذكر حرٌّ ؛ أوحىٰ الله إليه بشرع ؛ وأُمر بتبليغه .

النَّبيُّ : إنسان ذكر حرٌّ ؛ أوحى الله إليه بشرع ؛ ولم يُؤمَر بتبليغه .

وذهب بعض العلماء إلىٰ أنَّه لا فرق بين الرسول والنَّبيِّ ، وأنَّهما

مترادفان ، منهم ابن الهمام في « المسايرة » ، لكنَّه مخالِفٌ لما عليه جمهور العلماء من أنَّ الرسول أخصُّ من النَّبيِّ ، لأنَّه أُوحيَ إليه شيءٌ ؛ وأمر بتبليغه ، والنَّبيُّ لم يؤمر بالتبليغ . فعلىٰ هذا : كلُّ رسولٍ نبيٌّ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً .

ولا يكون الرسولُ والنَّبيُّ إلاّ ذكراً ، ولم يأتِ رسولٌ امرأة ، لأنَّ الذكورة شرطٌ للرسالة والنُّبوَّة .

ملحوظة : المعتمدُ أنَّ النَّبيَّ أفضلُ من الوليِّ ، وكذلك الرسول . لأنَّ الوليَّ تابعٌ للرسول وللنَّبيِّ . ولا يكون التابعُ أعلىٰ رتبة من المتبوع . ولأنَّ النَّبيَّ معصومٌ والوليُّ غير معصوم . لكن أولياء هذه الأمة أفضلُ من أولياء الأمم السابقة ، لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

المبحث الثاني
صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام)

صفات الرسل صلوات الله عليهم أنواعٌ ثلاثة : ١ ـ ما يجبُ لهم ، و٢ ـ ما يجوز في حقِّهم ، و٣ ـ ما يستحيل عليهم . ودونَك التفصيلَ .

أ ـ فيما يجب للرسل والأنبياء . . إجمالاً ؛ وتفصيلاً :

يجب إجمالاً : يجبُ في حقِّهم ما يليق بهم من الصفات الحميدة التي تليق بمراتبهم العليَّة . . كالحِلْم ؛ والعدل ؛ والصدق ؛ والكرم ؛ وأمثال ذلك من مكارم الأخلاق التي هي قِوام الأمم علىٰ اختلافها .

يجب تفصيلاً : يجبُ أن نعتقد أنَّ الواجب في حقِّهم أربعُ صفات : ١ ـ الصدق ، و٢ ـ الأمانة ، و٣ ـ الفطانة ، و٤ ـ تبليغ ما أُمروا بتبليغه .

١ ـ الصدق : هو مطابقةُ الخبر للواقع ، أي : لا يتكلَّمون إلاّ الصدق ،

وهو واقع الحال .

الدليل العقلي على صدقهم : هو أنَّهم لو لم يصدُقوا بما أُنزل عليهم من الرسالة . . لاختلّ التبليغ ؛ واختلّت الشرائع !! ولو جاز عليهم الكذب . . لما أمرنا الله باتباعهم . قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] . وأهمُّ دليل على صدقهم هو المعجزاتُ التي جَرَت على أيديهم ؛ برهاناً على صدقهم .

* * *

٢ ـ الأمانة : وهو عصمةُ ظواهرهم وبواطنهم عمّا نهى الله عنه قبل النُّبوَّة وبعدَها .

والدليلُ على أمانتهم : هو أنَّ الله تعالى أمرنا باتباعهم ـ كما مرّ ـ فيما جاؤوا به ، فلو خانوا الأمانة لحرّم اتباعهم ، وكيف وقد أمرنا الله بالاتباع ؟! والأمانة ترجع إلى العصمة .

ثمَّ لا يليق بالحكيم العليم أن يختار رسولاً كاذباً ؛ أو خائناً للأمانة !! لذلك ثبتت لهم صفة الأمانة .

ملحوظة : ما ورد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه سها في الصلاة ؛ وأنَّه نام عن صلاة الفجر !! إنَّما كان ذلك تشريعاً للناس ليتعلَّموا كيف يُصلحون عبادتهم إن أخطأوا . لا أنَّه خطأٌ محضٌ .

* * *

٣ ـ الفطانة : هي الذكاء والفهم السريع وقوَّة البرهان . والقدرةُ على إلزام الحُجَّة للخصم .

الدليل النقليُّ على الفطانة قولُه تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ

﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

الدليل العقلي : هو أنَّ وظيفة الرسل تستلزم مداركَ عظيمة وفطانةً فوق مدارك البشر ؛ لإلزام الخصم الحُجَّة ؛ ودحض مزاعمه الباطلة ، ولا يكون ذلك إلاّ بالفطانة . فالأبلهُ لا يقدر على إقامة الحُجَّة على الخصم ودحضِ حُجَّته . ولو لم يكن سيِّدُنا إبراهيم ذا فطانة وذكاء لحاجَّهُ الخصم وغَلَبه .

* * *

٤ ـ تبليغ ما أمروا بتبليغه : هو ما أنزل عليهم من الشرائع السماويَّة .

الدليل النقلي على التبليغ قولُه تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر : ٩٤] ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل] ، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

الدليل العقلي : هو أنَّهم لو كتموا شيئاً ممَّا أُمروا بتبليغه . . لوقع الشكُّ في رسالتهم ؛ وكانوا ممَّن خان أمانة التبليغ ، وفسد أمرهم ، ووُصفوا بالخيانة ، وهذا محالٌ في حقِّهم .

وهذه الصفات الأربعُ هي صفات الكمال ، وهي واجبةٌ في حقِّهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام .

* * *

ب ـ فيما يجوز في حقِّهم عليهم الصلاة والسلام :

يجوز في حقِّهم ما يجوز على بقيَّة البشر . . من الأكل ؛ والشرب ؛ والجماع ، والمشي في الأسواق ، والأمراض البشريَّة الَّتي لا تؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العَليَّة .

ولا يجوز عليهم ما أدّىٰ إلى نقص فيهم .. كالجُذام ؛ والجنون ؛ والبَرَص ؛ والعمى . فظاهر الرُّسل وباطنُهم سواءٌ معصومٌ منّزه عن كلِّ ما لا يليق بحقِّهم عليهم الصلاة والسلام .

أمّا النوم .. فإنَّها تنام أعينُهم ؛ ولا تنام قلوبهم . لذلك ما كان النوم ناقضاً لوضوئه ﷺ ، فتنام عيناه .. وقلبه لا ينام .

* * *

جـ - فيما يستحيل في حقِّهم صلوات الله وسلامه عليهم :

يستحيلُ في حقِّهم ضِدُّ الصفات الأربع المتقدِّمة . فيستحيلُ ١ - الكذبُ ، و٢ - الخِيانة ، و٣ - الكتمان ، و٤ - البَلاَهة . لأنَّ هذه الصفاتِ صفاتُ نقصٍ ؛ وهم معصومون عن كلِّ نقص .

وكذلك يستحيلُ عليهم الأمراضُ البشرية التي تؤدِّي إلى نقص بهم ؛ كالأمراض المنفِّرَة ، فيستحيل عليهم العمى .

وما حصل لسيِّدنا يعقوب ؟ فليس بعمىً ، وإنَّما هي غشاوة من الحزن ؛ كانت على عينيه .. وقد زالت .

وكذلك ما حصل لسيِّدنا أيُّوب عليه السلام .. من الأمراض المنَفِّرة فليس بصحيح(١) ، لأنَّه قد مرض مرضاً عادياً ؛ لا يؤدِّي إلى نقص في حقِّه .

وكذلك يستحيلُ عليهم الصَّممَ والخَرَس والجنون وأمثال ذلك ، فلا يليقُ بهم أن يتَّصفوا بما ينفِّرُ الناس منهم ؛ ويجعلهم محتقرين في أعينهم .. وهم جاؤوا لهدايتهم وإرشادهم .

---

(١) هذا من الأخبار الإسرائيليات المكذوبة عليه (المؤلف)

ملحوظة : أربعةٌ مختلَف فيهم ؛ وهم : ١ ـ لقمانُ ، و٢ ـ ذو القرنين ، و٣ ـ العُزَيْر ، و٤ ـ الخضر (صاحب الكليم موسى عليهم الصلاة والسلام) .

فبعضهم يقول عنهم : إنَّهم أنبياء . وبعضهم يقول : إنَّهم أولياء . والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام المتَّفقُ عليهم

يجبُ علينا الإيمان والجزم بجميع الرُّسل التي قصَّها الله علينا في كتابه العزيز . وكذلك يجبُ الإيمان برسل لم يقصَّهم الله علينا في كتابه ، قال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

أمَّا الرُّسل التي قصَّ الله علينا أسماءَهم في كتابه العزيز فهم خمسةٌ وعشرون رسولاً ؛ يجب علينا معرفتُهم والإيمان بهم تفصيلاً ، وهم :

١ ـ آدم ، ٢ ـ إدريس ، ٣ ـ نوح ، ٤ ـ هود ، ٥ ـ صالح ، ٦ ـ إبراهيم ، ٧ ـ لوط ، ٨ ـ إسماعيل ، ٩ ـ إسحاق ، ١٠ ـ يعقوب ، ١١ ـ يوسف ، ١٢ ـ أيُّوب ، ١٣ ـ شُعَيب ، ١٤ ـ موسىٰ ، ١٥ ـ هارون ، ١٦ ـ ذو الكفل ، ١٧ ـ داود ، ١٨ ـ سليمان ، ١٩ ـ إلياس ، ٢٠ ـ اليسع ، ٢١ ـ يونس ، ٢٢ ـ زكريا ، ٢٣ ـ يحيى ، ٢٤ ـ عيسى . وخاتمهم ٢٥ ـ محمَّد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

* * *

المبحث الرابع

المعجزات والخوارق

خوارق العادات التي هي من مقدورات الله تعالى هي :

١ ـ معجزةٌ من نبيّ ، وليس بعدَ نبيِّنا محمَّد ﷺ نبيّ أبداً ؛ ولا رسول مطلقاً ، لقوله ﷺ : « لاَ نَبِيَّ بَعْدِي »(١) .

٢ ـ كرامة من وليّ ظاهرِ الصلاح والاتِّباع للشرع الشريف . . بلا مخالفة .

٣ ـ معونة ؛ وهي ما كان على يد مستور الحال .

٤ ـ استدراج . . من فاسق ؛ أو كافر .

٥ ـ إهانة من مدَّعٍ للنبوَّة كذّابٍ ، كمُسَيْلمة .

٦ ـ إرهاص لنبيٍّ صادقٍ ؛ كسيِّدنا محمد صلوات الله عليه ؛ أو مَنْ قبلَه . . إن جاء قبل النبوَّة .

٧ ـ سحر . . إن جاءت من يد ساحر ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه : ٦٩] .

٨ ـ شعوذة : وهي خِفَّةُ يدٍ . . يرى الإنسان من خلالها ما ليس له حقيقة ، تجيءُ على يد رجل دجَّال .

والسحر ؛ وإن كان ظاهراً من خوارق العادات إلاّ أنَّه لا تتعذَّر معارضتُه .

* * *

---

(١) متفق عليه : البخاري : ٣٧٠٦ ، ومسلم : ٣٠ ـ ٢٤٠٤ ؛ عن عليٍّ كرَّم الله وجههُ .

أولاً : الإرهاص والمعجزة : ودونكَ التفصيل في الإرهاص والمعجزة مما يتّصل ببحثنا هذا :

١ ـ الإرهاص : هو ما يكون للرسول قبل دعوى الرسالة ، كتظليل الغمام له ﷺ من قبل النبوّة والرسالة .

٢ ـ المعجزة :

تعريف المعجزة : هي أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدِّي مع عدم المعارضة ؛ توافق دعوىٰ الرسول المرسَل ، ولا تكون إلاّ من الرسل لتبليغ أممهم ؛ برهاناً على رسالتهم وتصديقهم فيما أخبروا به أقوامهم .

شرط المعجزة : أن تتعذَّر معارضتُها وتظهر للعيان حقيقتُها ، كعصا موسى عليه السلام ، فإنَّها أكلت جميعَ ما جاءت به السحرة . . من الحبال المصطفَّة ؛ كالحيّات . وظهر للجميع أنَّها حيَّةٌ حقيقيةٌ تسعى ، وأنَّ ما جاء به سَحَرةُ فرعون سحرٌ وشَعْوذة وباطل ؛ فلم يبقَ منه شيء .

سبب المعجزة : أنَّ الرسول يأتي قومَه بدعوى الرسالة عن ربِّه ، فلا يصدِّقونه ويكذِّبُونه ، فلو لم يأتهم بخوارق عاداتهم . . لم يؤمنوا به . لذلك كانت المعجزة أعظمَ دليل على رسالتهم ؛ وصدق دعواهم .

أقسام المعجزة : تنقسم المعجزة إلى : ١ ـ قوليّة ، و٢ ـ فعليّة ، و٣ ـ ترك .

١ ـ أمّا المعجزاتُ القوليَّة : فمنها القرآن الكريم ، وهو أعظم معجزة خالدة إلى أبد الآبدين ، وقد تحدَّىٰ العربَ قاطبة . . فصحاءَها ؛ وبلغاءَها ؛ وشعراءها ، في زمنٍ كانت العربيّة في أوج كمالها ، وكانوا يحرصون كلَّ الحرص على تكذيبه ، وفيهم فطاحلُ الشعراء والخطباءِ ، فعجزوا . . ولم

يقدروا أن يأتوا بمثله ، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً . قال الله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤] ولا يزال القرآن الكريم إلى الآن وبعد الآن معجزة خالدة لا يقدر أحد أن يأتي بمثل سورة من مثله ولو تضافر الناس بعضهم مع بعض . ومنها : تسبيح الحصى بيده ﷺ .

* * *

٢ ـ وأما المعجزات الفعليَّة . .

فمنها انشقاقُ القمر له ﷺ حينما سأله أهل مكَّة أن يريَهم آيةً تدلُّ على رسالته ، فأراهم انشقاق القمر ، وقد رَوىٰ ذلك البخاريُّ ومسلم .

ومنها نبعُ الماء بين أصابعه ﷺ ، وشرب منه جمٌّ غفير حتّىٰ ارتووا .

ومنها حنينُ الجِذع الذي كان يخطب عليه حينما انتقل عنه إلى منبره ، وقد سمع حنينَه كلُّ مَن كان هناك شاهداً .

ومنها ما رُوي أنَّه قد أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد حتَّى وقعت على وجنته ؛ فردَّها النَّبيُّ ﷺ بيده إلى مكانها ، فرجعت . . وكانت أحسنَ من الأولى .

* * *

٣ ـ وأمَّا معجزات التّرك :

فمنها معجزةُ سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حينما أرادوا إحراقه . . ألقوه في النار وظنُّوا به الهلاك ، ولكن الله تعالى أمر النار أن تترك إحراقَه، فقال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فسمعت

وأطاعتْ ، ونجا إبراهيم عليه السلام منها سالماً بإذن الله .

وهذا هو مذهب أهل السنّة والجماعة : لا تحرق النار إلا بإذن ربِّها خلافاً للمعتزلة والفلاسفة .

* * *

أشهر معجزات الأنبياءِ بعد معجزات النَّبيِّ ﷺ :

١ - معجزة سيِّدنا إبراهيم عليه السلام حينما أرادوا أن يحرقوه .

أرسل سيِّدنا إبراهيمُ عليه السلام لقومه فدعاهم لعبادة الرحمان وتركِ عبادة الأوثان والأصنام ، فأنكروا عليه عبادة الله ؛ وقالوا : إنَّا وجدنا آباءنا وأجدادنا تعبدُ هذه الأصنام ، فلا نَدَعُها ونعبد إلٰهك وحدَك ، فأقسم ؛ فقال ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾ [الأنبياء : ٥٧] ، فدخل عليها وكسّرها وعلّق الفأس بعنق كبيرها ؛ ولم يكسره . فجاءوا ورأوا أصنامَهم محطَّمة جُذَاذاً . فعلموا أنَّ إبراهيم هو الذي كسّرها ! فأوقدوا له النارَ وأجَّجوها وألقوا إبراهيمَ فيها ؛ وقد أيقنوا بهلاكه ، ولكن الله تعالى لم يتخلَّ عن خليله ؛ فقال ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، فاستجابت النار لنداء ربِّها ؛ ولم تحرق منه شيئاً ، وسلّمه الله بقدرته وإرادته ، وخذل أعداءه .

فهذه هي معجزةُ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

٢ - معجزة سيِّدنا موسى عليه الصلاة والسلام حين أُرسل إلى فرعونَ الطاغيةِ الظالم الذي كان يدَّعي الربوبيَّة ، فطلب فرعون برهاناً على رسالة موسى وأخيه هارون ، واجتمعوا في عيدهم بموكب كبير ، وجاءت سحرةُ فرعونَ وألقوا سِحرَهم وحبالهم حتَّى خَيَّلوا للناس أنَّها ثعابين !! فألقى موسى عصاه ، فإذا هي حيَّةٌ تسعى ، ابتلعت جميع عصيِّهم وحبالِهم ؛ ولم تُبْقِ شيئاً

من سحرهم !! فلمّا رأى السَّحَرة ذلك . . قالوا ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ، فغضب فرعون غضباً شديداً وتوعَّدهم ؛ وخرج يطلب موسى وقومَه ليفتكَ فيهم .

وهناك معجزة ثانية لموسى عليه السلام ؛ وهي : أنّه لمّا وصل البحر . . وفرعونُ وجنودُه بأثرهم . . أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ؛ فانفتحت في البحر طُرُق على عَدَدهم ، فمرّ موسى وقومه ؛ ولم تبتلَّ ثيابُهم ، فأتبعهم فرعون وجنوده ، فأغرق الله فرعون ومَن معه ؛ وأبقى جُثَّة فرعون عائمةً فوق البحر ؛ لتكون لمن بعده آية وعبرة .

ولسيّدنا موسى معجزاتٌ كثيرة . أنظرها في القرآن الكريم .

* * *

٢ ـ الكرامة

الكرامة : هي أمرٌ خارق للعادة ؛ مقرونٌ بالمعرفة والطاعة ، تظهر على يد رجلٍ صالحٍ ظاهرِ الصلاح ؛ من غير دعوى النبوّة . وكلُّ ما كان معجزةً لنبيٍّ . . صحَّ أن يكون كرامةً لوليٍّ .

الوليّ : هو العارفُ بالله المواظبُ على الطاعات . . مِن ذَكَر ؛ أو أنثى ، المجتنبُ للسيّئات ، التارك للدُّنيا ، المقبل على الآخرة ، قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٦٣] .

فالوليُّ محفوظٌ عن الخطإ ، خائفٌ من الخاتمة ، لا يشاهد الوحيَ ولا يُنزَّل عليه . أمّا النّبيُّ . . فهو معصومٌ عن الخطإ ؛ يشاهد الوحيَ وينزَّل عليه .

ملحوظة : لا يبلغ الوليُّ درجةَ الأنبياء مهما اجتهد ، فالنبوَّةُ لا تكون مكتسبةً ، بل ذلك فضلٌ من الله . . يعطيه مَن يشاء مِن عباده .

أمَّا الولاية ، فقد تكون بالجِدِّ والاجتهاد ؛ والدأب على مخالفة النفس ، والجُهْد في العبادات . ولقد وَرَد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال . . فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجَّل : « ﴿ وَلاَ يَزَالُ ٱلعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ﴾ » . . . . الحديث[1] .

* * *

الكرامات للأولياء

كرامات الأولياء كثيرةٌ ؛

١ ـ منها ما في القرآن الكريم من كرامة سيِّدتنا مريمَ رضي الله عنها ، قال الله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] فكانت ترى الطعامَ أمامَها في المحراب : فاكهةَ الشتاء في الصيف ، وفاكهةَ الصيف في الشتاء ؛ كرامةً لها .

٢ ـ ومنها قصة الخضر مع سيِّدنا موسى عليه السلام ، وكيف أخبره عن السفينة والغلام والجدار ، وكان سيِّدنا موسىٰ لا يعلم منها شيئاً ، وأمثال ذلك كثيرٌ في القرآن .

٣ ـ ومنها كرامةُ سيدنا عمر رضي الله عنه ، كان يخطب على المنبر ونادى (يا ساريةُ ؛ الجبل . . الجبل) . فكُشف له ـ وهو يخطبُ ـ عن ساريةَ قائدِ

---

(١) أخرجه البخاري : ٦٥٠٢ ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

جند العرب . . وهو في بلاد العجم ؛ محارباً عندما التفّ أعداؤه من وراء الجبل ليغدُروا به ، فسمع ساريةُ وجندُه صوتَ عمر يقول : يا ساريةُ ؛ الجبل . . الجبل ، ولولا صوتُ عمرَ من أرض الحجاز لبطش جيش العجم بالعرب ، وهي كرامةٌ لعمر رضي الله عنه .

ويوجد أمثالٌ كثيرةٌ للأولياء من الصحابة وغيرهم ، وما صَدَر للصَّدْر الأوَّل من كرامات قد يكون لمن بعدهم مثلُ ذلك .

* * *

خاتمة في السحر

السحر : هو مزاولةُ النفوس الخبيثة لأفعالٍ وأحوالٍ يترتَّب عليها أمورٌ خارقة للعادة ؛ لا يتعذَّر معارضتُها ، يجري على يد رجل مجبولٍ على الشرِّ ؛ بعيدٍ عن الخير .

قال تعالى عن سَحَرة فرعون حينما ألقوا حِبالهم وعِصيَّهم : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٥ ـ ٦٦] ولم تعمل شيئاً غيرَ أنَّها تتحرَّك على الأرض ؛ كالحيّات . . وما هي بحيّات ! وأمَّا عصا موسىٰ ؛ فقد بلعت الحيّات . . ولم تُبْقِ منها شيئاً ، قال تعالى ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧ـ١٨] .

والمعجزةُ حقٌّ ؛ وهي إيجادُ معدومٍ ؛ أو إعدامُ موجود بقدرته تعالى . . على يدِ رسولٍ مرسَلٍ ، وأمَّا السحر ! فلا يُعْدِم ولا يُوجد .

* * *

الفصل الثاني

الكتب السماوية

أسماء الكتب السماوية

هي أربعة : ١ _ القرآن ، و٢ _ الإنجيل ، و٣ _ التوراة ، و٤ _ الزبور .

فالقرآن نزل على سيِّدنا محمَّد ﷺ ، والإنجيل نزل على سيِّدنا عيسى عليه السلام ، والتوارة نزلت على سيِّدنا موسى عليه السلام ، والزبور نزل على سيِّدنا داود عليه السلام ، وكلُّها كلامُ الله تعالى ، وأفضلُها هو القرآن الكريم .

فيجب الإيمان بهذه الكتب السماوية المنزَّلة على الرسل المذكورين إيماناً قطعياً ، غيرَ أنَّ هذه الكتب قد غُيِّرت وبُدِّلت ، قال تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة : ١٣٠] ، ولم يبق سالماً إلاَّ القرآن الكريم فإنه محفوظ من ربِّ العالمين . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] فهو باقٍ كما أنزل إلى يوم القيامة . وقد وصل إلينا بالتلقِّي المتواتر عن الصحابة الكرام ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريل عليه السلام ، عن ربِّ العزَّة .

وأمَّا بقيَّة الكتب . . فلم تصل عن طريق التواتر لذلك حُرِّفت وبُدِّلت .

ملحوظة : كلُّ رسول أُرسِل لقومه خاصَّة ، إلاَّ سيِّدنا محمَّداً ﷺ أُرسل للناس عامَّة ، وإلى الجنِّ أجمعين رسالةَ تكليف ، وللملائكة رسالةَ تشريف .

* * *

الفصل الثالث

سيّدنا محمّد ﷺ

يشتمل الكلام في هذا الفصل على نَسَبه صلوات الله عليه ، وأولاده ، وخصائصه ، وأشهر معجزاته بعد القرآن الكريم ، وخاتمة في التقليد الفروعيّ لأحد المجتهدين .

أ - نسب الرسول عليه الصلاة والسلام :

١ ـ نسبهُ من جهة أبيه :

نَعَم ، هو أفضل الخلق على الإطلاق ، وقريشٌ أفضلُ قبائل العرب ، وهو من أعلىٰ فروع قريش ، فهو خيار ؛ من خيار ؛ من خيار . وفي الحديث الذي يرويه الترمذي[١] قولُه عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، وَٱصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَٱصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

وُلد بمكّة عامَ الفيل ، فهو محمّد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرّة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن نضر ، بن كنانة ، بن خُزَيمة ، بن مُدْرِكة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

---

(١) في « السنن » : ٩/ ٢٣٥ برقم ٣٦٠٩ ، وقال : حديث حسن صحيح ؛ عن واثلة بن الأسقع .

٢ ـ نسبهُ من جهة أمّه آمنة :

هو محمَّد ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . ويرتبط مِن هنا نسبُ أُمّه مع نسب أبيه بـ« كلاب » .

ب ـ أولاده عليه الصلاة والسلام :

الذكورُ ثلاثة وهم : ١ ـ القاسم ، و٢ ـ عبد الله ، و٣ ـ إبراهيم .

الإناث أربع : ١ ـ فاطمة ، ٢ ـ زينب ، ٣ ـ رقيّة ، ٤ ـ أمّ كلثوم .

وجميع أولاده من خديجة رضي الله عنها ، إلاّ إبراهيم . . فإنَّه من مارية القِبطية .

ملحوظة : النَّبيُّ ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق . ثمَّ الأنبياءُ يلونه بالفضل .

ثمَّ بعد ذلك رؤساءُ الملائكة ؛ وهم ١ ـ جبريل ، و٢ ـ ميكائيل ، و٣ ـ إسرافيل ، و٤ ـ عزرائيل . ثمَّ يليهم في الفضل بقيَّة الملائكة الكرام .

ثمَّ رؤساء الصحابة الخلفاء الراشدون ، سيدنا ١ ـ أبو بكر ، و٢ ـ عمر ، و٣ ـ عثمان ، و٤ ـ عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين ، على الترتيب في الفضل .

ثمَّ يليهم بقيَّة العشرة الكرام المبشَّرين بالجنَّة ؛ وهم : ٥ ـ طلحة ، ٦ ـ سعد ، ٧ ـ سعيد ، ٨ ـ عبد الرحمان بن عوف ، ثمَّ ٩ ـ الزبير ، ١٠ ـ أبو عبيدة بن الجرَّاح .

ثمَّ أهل بدر ؛ وعددهم /٣١٣/ ، ثمَّ أهل بيعة الرضوان ، ثمَّ السابقون ؛ وهم الصحابة الذين صلَّوا إلى القبلتين ، ثمَّ الصحابيُّ ؛ وهو : كلُّ مَنْ رأى النَّبيَّ ﷺ . . ومات مسلماً .

جـ ـ خصائصه عليه الصلاة والسلام :

بيانٌ فيما خُصَّ به النَّبيُّ ﷺ :

لقد خُصَّ النبي عليه الصلاة والسلام بأشياءَ كثيرةٍ ؛ منها :

١ ـ بعثتُه للخلائق كلِّها ؛ كما ذكرنا . . للإنس والجنِّ والملائكة[1] .

٢ ـ بأنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين ، لا نبيَّ بعده . ولذلك انقطع الوحيُ عن الأرض بعد وفاته ، وأمَّا نزولُ سيِّدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان . . فهو حقٌّ ، لكنَّه يحكم بشرع المصطفى ﷺ ؛ وبالقرآن الكريم ، فيكون تابعاً للرسول ﷺ ، ويقتدي بالمهديِّ في صلاته .

٣ ـ أنَّ شرع النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام ناسخ لغيره ممَّن كان قبله من الشرائع والأحكام . وأمَّا شرعُه ﷺ . . فلا يُنسَخ بشرع ، ولا يبدّل ؛ ولا يغيّر ! لأنَّه خاتم الأنبياءِ والمرسلين ، فلا نبيَّ بعده !!

فشرعه ﷺ ثابتٌ إلى يوم قيام الساعة ؛ بدلالة النَّصِّ ، فإنَّ قوله ﷺ « لاَ نَبِيَّ بَعْدِي » يدلُّ على أنَّه لا وحيَ بعده !

فثبت بهذا تأبيد الشريعة الإسلامية ، وما ثبت تأبيدُه لا يجري فيه النسخ . وقد أكمل الله شرعَه ، وأودع فيه ما يكفي العباد لدنياهم وآخرتهم . قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام : « أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً ؛ وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدٍ ، وأُحِلَّت لِيَ ٱلْغَنَائِمُ ؛ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِيَ ٱلأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ ٱلصَّلاَةُ . . فَلْيُصَلِّ حَيْثُ كَانَ ، وَنُصِرْتُ بِٱلرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُعْطِيتُ ٱلشَّفَاعَةَ » . أخرجه البخاري : ٣٣٥ ، ومسلم : ٣ ـ ٥٢١ ؛ عن جابر رضي الله عنه .

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، وقال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

فالإسلام كاملٌ تامٌ من عند الله لا يحتاج إلى قانون ؛ ولا إلى نظام ليتمّه إلى آخر الزمان ، فهو الصالحُ لكلِّ زمان ومكان ، وغيرُه لا يصلح أبداً . وأمَّا نسخُ شرعٍ بعضه . . فهو حاصل ، لكن ليس الكلُّ بل بعضُه .

والنسخ يكون على أربعة أقسام :

١ ـ نسخُ الكتاب بالكتاب . ٢ ـ نسخُ السنّة بالسنّة .

٣ ـ نسخُ السنّة بالكتاب . ٤ ـ نسخُ الكتاب بالسنّة .

وتبقى الآية ويُنسَخ حكمُها ؛ كقوله تعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء : ٤٣] ، نُسخ بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة : ٩٠] .

وقد ينسخ تلاوة الآية وحكمها باق مثل ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ .

وقال سيِّدنا عمر رضي الله عنه : لولا أنَّ الناس يقولون زاد عمر في كتاب الله . . لكتبت هذه الآية على هامش المصحف وهي ﴿الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما . ﴾ . . إلخ .

* * *

أبرز معجزاته بعد القرآن الكريم

١ ـ الإسراء والمعراج :

يجب علينا أن نعتقد بأنَّ الله تعالى أسرى بنبينا ﷺ ليلاً من مكَّة إلى بيت

المقدس ، قال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [الإسراء : ١] .

والإسراءُ كان بجسمه وروحه على المعتمد ، فإنَّ الله تعالى قال ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ ، والعبد هو روحٌ وجسد ، والمعراج هو عروجه إلى السماء من بيت المقدس بعد أن صلَّى بالأنبياء .. عُرج بروحه وجسمه . ومنكر الإسراء كافرٌ ، لأنَّه أنكر صريح القرآن ، ومنكر المعراج فاسق ، لأنَّه ثبت بالحديث الصحيح عن النَّبيِّ ﷺ .

* * *

٢ ـ حديث الإفك :

وهو تهمةُ السيِّدةِ عائشةَ رضي الله عنها ، فلقد اتهم بعض المنافقين السيِّدةَ عائشةَ رضي الله عنها بالزنا ، فأنزل الله بها براءةً ، وبرّأها الله تعالى وردّ كيد المنافقين ، وأقام الرسول الحدَّ على مَن ثبت أنَّه قد قذف السيِّدة عائشة رضي الله عنها ، وبرّأها الله في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١] .

* * *

التقليد الفروعي

خاتمة في تقليد أحد المجتهدين :

يجبُ علينا أن نقلِّد أحد المجتهدين الأربعة ؛ وهم : ١ ـ الإمام أبو حنيفة ، و ٢ ـ الإمام الشافعيّ ، و ٣ ـ الإمام مالك ، و ٤ ـ الإمام أحمد ابن

حنبل رضي الله عنهم أجمعين ، ويوجد أئمَّة أُخَر ؛ كـ٥ ـ الإمام الأوزاعي ، و٦ ـ الإمام الليث بن سعد ، و٧ ـ داود الظاهري ، و٨ ـ سفيان الثوري رضي الله عنهم أجمعين ، لقد كانوا أئمَّةً يقتدىٰ بهم ، ولكن قلَّ مقلِّدوهم ؛ ولم يبق منهم إلا القليل !!

فهؤلاء هداةُ الأمَّة ، وقد أوضحوا سُبُل الشريعة الإسلامية ، واجتهدوا واستنبطوا الأحكام الشرعية . . من القرآن ؛ والحديث ؛ وإجماع الصحابة ، وكانوا أقربَ الناس للصحابة رضي الله عنهم ، وجزاهم الله خيراً عن المسلمين ، وهم بالعظمة والقوَّة بمثابة واحدة ، لذلك وجب على كلِّ مكلَّف لا يستطيع الاجتهاد أن يقلّد واحداً منهم .

* * *

الباب الثالث
السمعيات

* الإيمان بالملائكة .
* الإيمان بالجن .
* الإيمان بالمغيبات الأخرى .
* الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

يجب علينا أن نؤمن أنَّ لله ملائكةً خُلقوا من نور ، وهم عالمُ غَيْبٍ لا يعلم حقيقتهم إلاّ الله ، يقدرون على أن يتشكّلوا بأيِّ صورة ، قد جُبلوا على الطاعة .. لا يأكلون ؛ ولا يشربون ، ولا يتّصفون بذكورة ؛ ولا أنوثة ، لا يعصون الله ما أمرهم ؛ ويفعلون ما يؤمرون .

وقد جعل الله لهم وظائف : فجبريلُ هو رسولُ الوحي للرسل ؛ فيأتيهم بكلام الله تعالى ، وميكائيل موكَّل بالأمطار ؛ ويسوق السحاب إلى ما شاء الله ، وعزرائيل موكَّل بقبض الأرواح ، وإسرافيلُ ينفخ في الصور يوم القيامة .

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال : « لِكُلِّ آدَمِيٍّ عَشَرَةٌ بِٱللَّيْلِ ؛ وَعَشَرَةٌ بِٱلنَّهَارِ ؛ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِهِ ، وَآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَٱثْنَانِ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَٱثْنَانِ عَلَىٰ جَنْبَيْهِ ، وَآخَرُ قَابِضٌ عَلَىٰ نَاصِيَتِهِ ؛ فَإِنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ ، وَإِنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ ، وَٱثْنَانِ عَلَىٰ شَفَتَيْهِ لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ إِلاَّ ٱلصَّلاَةَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَٱلْعَاشِرُ يَحْرُسُهُ مِنَ ٱلحَيَّةِ أَنْ تَدْخُلَ فَاهُ »(١)

ومنهم الكاتبان : رقيب ، وعتيد ، فرقيب كاتب الحسنات على اليمين ، وعتيد كاتب السيّئآت على اليسار . غير أنَّ كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل الرجل سيِّئةً .. أمره صاحب اليمين أن لا يكتب ،

---

(١) أخرجه الطبري .

ويقول : دعه سبعَ ساعات ، لعلّه يسبّح ؛ أو يستغفر !! فإذا سبّح ؛ أو استغفر . . مُحيت عنه تلك السيِّئة .

ملحوظة : الملائكة الموكَّلون بابن آدم لا يُهملون شيئاً من الحسنات والسيئات ، إلاّ أنّه قد يتوب العبد فيتوب الله عليه ؛ فتمحىٰ ذنوبه وتُنسىٰ حتّىٰ عند الملائكة .

* * *

المعصية مستحيلة على الأنبياء

إنَّ قوله تعالى ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(1) [طه : ١٢١] . . سببُ ذلك أنَّ إبليس اللعين . . لمَّا قال لآدم (كُلْ مِن شجرة الخلد) ؛ وأقسم له بأنَّه ناصح ! ولم يعلم آدم أنَّه غاشٌّ له ، فأكل منها وظنَّ أن لا أحدَ يتجرَّأُ على الحلف بالله كاذباً ، وكان أكلُه منها نسياناً بتقدير الله عزّ وجلّ ، لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

وهذه ليست بزلّة ، وإنَّما هي معاتبةُ المقرَّبين الأبرار ، ولذلك أقام آدمُ على موسىٰ الحُجَّة بالقَدَر . . في الحديث الذي رواه الإمام البخاريُّ في (كتاب التفسير) ؛ في باب قوله تعالى ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] ، ما نصّه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « حَاجَّ مُوسَىٰ آدَمَ ؛ فَقَالَ لَهُ : (أَنْتَ ٱلَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ ؟!) قال : قالَ آدَمُ : يا مُوسَىٰ ؛ أَنتَ ٱلَّذِي ٱصْطَفَاكَ ٱللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلامِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ كَتَبَهُ

---

(1) عند الجمهور العصيان هنا لغوي فقط وليس له أي رصيد اصطلاحي عند المحققين ويُنظر في ذلك شرح السيد الشريف الجرجاني على المواقف للعضد الأيجي .

ٱللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ، أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي !؟ » . فَقَالَ ﷺ : « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ »[1] .

* * *

خواصّ الملائكة وخواصّ البشر

إنَّ خواصَّ البشر . . وهم الأنبياءُ والرُّسُل أفضلُ من خواصّ الملائكة ؛ وهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام .

وخواصُّ الملائكة أفضلُ من عوامِّ البشر ؛ كالخلفاء الأربع وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وعوامُّ البشر أفضلُ من عامّة الملائكة ، بدليل قوله تعالى ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] ، هذا ما اختاره الإمام النسفيُّ في « عقائده » !

وللعلماء في هذا التفصيل خلافٌ . والملائكة من جملة العالمين .

ولا يعلم عدد الملائكة إلاّ الله عزّ وجلّ ، لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

* * *

---

(١) هو عند البخاري في (كتاب التفسير) : ٤٨٣٨ ، وفي (كتاب القدر) : ٦٦١٤ ، وعند مسلم : ١٥ ـ ٢٦٥٢ ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الفصل الثاني

الإيمان بالجن

الجنُّ هو عالَم خلقه الله تعالى ؛ لا يعلم بحقيقته إلاّ هو ، وفيهم الصالح والطالح ، لا نراهم . . وهم يروننا ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، حتّى أنَّ النّبيَّ عليه الصلاة والسلام لم يرهم ؛ ولم يعلم بوجودهم حين سمعوا القرآن ، بل أعلمه الوحيُ بوجودهم وبسماعهم القرآن منه ، قال تعالى ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] .

هذا ؛ وإنَّ الله تعالى خلق لهم من القدرة على التصوُّر في الهيئآت ما خلق لنا من القدرة على التصوّر في الحركات ، فنحن إلى أيِّ جهة شئنا ذهبنا ، وهم في أيِّ صورة شاءوا تيسَّرت لهم ووجدوا عليها .

مادَّةِ خلقهم النارُ قال تعالى ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] .

الأدلَّة النقليَّة والعقلية على وجود الجن :

لقد ثبت وجود الجنِّ شرعاً بالخبر المتواتر . . من القرآن ؛ والسنّة المطَهَّرة .

١ ـ الدليل النقليُّ على وجودهم من القرآن قولُه تعالى ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن : ١] .

٢ ـ الدليل النقليُّ على وجودهم من السنَّة : لقد ورد في « الصَّحيح » ؛ عن علقمة قال : قلتُ لابن مسعود : هل صَحِبَ النّبيَّ ﷺ ليلةَ الجنِّ منكم أحدٌ ؟! قال : ما صحبه منّا أحدٌ ، ولكنَّ افتقدناه ذات ليلة . . وهو بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟! استطير ؟! ما فُعِلَ به ؟! فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قومٌ ؛ حتّى إذا

أصبحنا ، أو كان في وجه الصبح . . إذا نحنُ به من قِبَلِ حراء !! قال : فذكروا له الّذي كانوا فيه . فقال : « أَتَانِي دَاعِي ٱلجِنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنَ » فانطلقَ فأَرَانا آثارهم وآثارَ نيرانهم . اهـ .

أقول . . وابنُ مسعود قد شاهَدَ ذلك ، وليس الخبر كالمعاينة !! وقال الشعبيُّ في روايته : وسألوه الزادَ ؛ وكانوا من جِنِّ الجزيرة ! فقال : « كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ ٱسْمُ ٱللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحْماً ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ ؛ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ » . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِ ؛ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ ٱلجِنِّ » .

٣ ـ الدليل العقليُّ على وجودهم : أنَّ وجودَهم ممكنٌ ؛ وجائز ، وليس مستحيلاً ! والقدرةُ تتعلَّق بالممكنات ؛ فكان [من] عموم القدرة الإلهية .

حكم من أنكر وجود الجنّ : إنّ مَن أنكر وجودَ الجنِّ يُكْفَر ، لأنَّه أنكر صريحَ القرآن ، بل أنكر سورةً كاملة برمَّتِها ؛ وهي سورة الجنّ الموجودةُ في كتاب الله تعالى !!

* * *

الفصل الثالث

الإيمان بالمغيّبات الأخرى

الروح والعقل

الروحُ موجودة حادثةٌ لا يعلم حقيقتَها إلاّ الله ، قال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، ولا يعلم مقرّها في الإنسان إلاّ الله تعالى .

أي في زمن سابق

وهي حادثةٌ ، إذ خلق الله الأرواح في الأزل ؛ وقال لهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] !! فهي حادثة وستبقى بأمر الله مع مَن بقي .

وقد اختلفوا في حقيقتها !! قال أصحابُ الإمام مالك رضي الله عنهم : هي صورة لطيفةٌ مطابقة للجسد . والله أعلم .

والعقلُ هو نورٌ رُوحانيٌ به تُدرِك النفس العلومَ الضروريّة والنظرية ؛ لا يعلم حقيقتَه إلاّ الله ، ولذلك يجبُ علينا ألاّ نخوض في الروح والعقل ، ونتركُ أمرهما إلى الله تعالى .

* * *

إيماننا بالعرش والكرسي والقلم واللوح

١ ـ العرش : هو جسمٌ عظيم خَلَقه الله تعالى ـ وهو أعلم بحقيقته ـ لا ليقعد عليه ، فإنّه منزّهٌ عن المكان والزمان ، وكلُّ ما يشبه المخلوقات ؛ وهو الخالق لها ، قال تعالى ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] وقال أيضاً

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

٢ ـ الكرسي : هو أيضاً جسمٌ عظيم ؛ لكنَّه أصغرُ من العرش ، والله اعلم بحقيقته ، كذلك خلقه الله تعالى ؛ لا ليقعد عليه ، قال تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

٣ ـ القلم : وهو جسم خلقه الله تعالى ؛ وهو أعلم بحقيقته ، ورُوي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال : أوَّلُ ما خلق الله تعالى القلم ، قال ﴿ اكتب ﴾ . قال : ما أكتُب ؟ قال ﴿ اكتب القدر ﴾ فجرى القلم بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . . بما أراده الله .

وقال ﷺ في حديث له : « رُفِعَتِ ٱلأَقْلاَمُ وجَفَّتْ ٱلصُّحُفُ »[1] .

وقال تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] .

٤ ـ اللوح : اللوحُ جسم عظيم خلقه الله تعالى ؛ يكتب فيه القلم بقدرة الله . . لا بواسطة ملائكة ، وهو أعلم بحقيقته .

ملحوظة : خلقَ الله العرشَ والكرسيَّ والقلم واللوح ؛ لا لشيء يحتاج إليه ، فهو غنيٌّ عمَّن سواه ، ولكنَّه قد خلقها لأسرارٍ ؛ وهو أعلم بحقيقتها .

* * *

إيماننا بالجنَّة والنار

يجبُ اعتقادنا بأنَّ الله تعالى خلق الجنَّة والنَّار ؛ وهما موجودتان ، وقد جاء القرآن الكريم بوجودهما بكثير من الآيات ؛ قال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي : ٢٥١٨ ؛ عن ابن عبّاس رضي عنهما ، وقال : حسن صحيح .

جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، وقال تعالى ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، وقصّة آدم عليه السلام(١) .

وفي الحديث الشريف قولُه ﷺ : « لَنْ تَدْخُلوا ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ تَحَابُّوا » . . . الحديث(٢) .

وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم على وجود الجنَّة والنار ، قال تعالى ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وأمّا مكانهُما . . فقد اختُلِف فيه !! والصحيحُ هو أنَّ الله تعالى أعلمُ بمكانهما .

١ ـ الجنَّة : هي دارُ بقاءٍ خلقها الله تعالى للنعيم المقيم ، فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعين ، وما لا يخطرُ على قلب بشر ، قال تعالى ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمان : ٥٢] .

وقد وصفها القرآن الكريم وصفاً كاملاً ؛ وذكر أنهارها وأشجارها وثمارها ، وحُوْرَ عِيْنِها وولدانها ، وتُرابها وكلَّ ما فيها ؛ ترغيباً لنا ، وتحبيباً لمن يطلب اللَّذّة والنعيم المقيم ، والراحة الدائمة ، قال تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

---

(١) في مكوثه في الجنة وإخراجِه منها (المؤلف) .
قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لاَ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ !! أَفْشُوا ٱلسَّلاَمَ بَيْنَكُمْ » . رواه مسلم : ٩٣ ـ ٥٤ (المؤلف) .

﴿مَنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان : ١٣ ـ ٢١] .

وليس في الجنَّة عِبادة ؛ ولا صلاة ولا صيام ، لأنَّها هي دار الجزاء والمكافأة ، والدنيا دارُ العمل والابتلاء .

والجِنان سبعٌ ؛ وهي ١ ـ الفردوس ، و٢ ـ عدن ، و٣ ـ الخلد ، و٤ ـ النعيم ، و٥ ـ المأوى ، و٦ ـ دار السلام ، و٧ ـ دار الجلال . وقيل : إنَّها أربعٌ ، ويتَّصل بعضها ببعض ؛ وبمقام الوسيلة ، فهناك ترى النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه وأحبابه .

ويكون المؤمن في الجنَّة ـ ذكراً كان ؛ أم أنثى ـ في عُنفُوان الشباب في سنِّ الثلاثين من العمر تقريباً ؛ في أبهى ما يكون من الجمال ، ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ للعجوز . . وهو يمازحها : « لاَ تَدْخُلُ ٱلجَنَّةَ عَجوزٌ ، بَل تَدْخُلُ شَابَّةً »[1] .

٢ ـ النار : هي دار العذاب المقيم ، موجودةٌ ؛ وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكةٌ غِلاظ شِداد . . لا يعصون الله ما أمرهم ؛ ويفعلون ما يأمرون .

وفيها طبقاتٌ سبعٌ ؛ أعلاها الجحيمُ وفيها وديان مُحرِقةٌ ، ووادٍ يسمَّى « وادي الويل » ، وهو واد عظيمٌ ؛ يستغيث منه أهل جهنَّم ، قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة : ١] . وكلُّ ما وُجد في الجنة من النعيم يوجد ضِدُّه في النار من آلات التعذيب ، ولا يفنى المعذَّبون فيها حتَّىٰ أنَّهم يتمنَّون الموت . . فلا يجدونه ، قال تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء : ٥٦] . . هكذا إلى أبد الآبدين ، لكن مَن كان مؤمناً

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » ؛ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

عاصياً ؛ فإنَّه يُعذَّب فيها على قدر عصيانه ، أو يعفى عنه ! ويدخل بعد ذلك الجنة ؛ ولا يخلَّد في النار ، وإنَّما يخلَّد فيها مَن كان كافراً لا يؤمن بالله ورسوله ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ١١٦] .

وليست نارُ الآخرة كنار الدنيا ، فإنَّ نار الآخرة « أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ حَتَّىٰ ٱحْمَرَّتْ ، وَأَلْفُ سَنَةٍ حَتَّىٰ ٱبْيَضَّتْ ، وَأَلْفُ سَنَةٍ حَتَّىٰ ٱسْوَدَّتْ . . فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ » ؛ كما جاء في الحديث الشريف(١) .

ويقوِّي الله أجسام المعذَّبين حتَّىٰ يكون ضرسُ الكافر كجبل أحد ليتحمَّل أشقَّ العذاب .

ملحوظة : مَن أنكر الجنَّة والنار . . فهو كافر ، لأنَّه قد أنكر صريحَ ما جاء به القرآن الكريم والحديثُ الشريف ، وهل من المعقول أنَّ الله تعالى يتركُ ظالماً ، أو مطيعاً . . من غير مكافأة ؛ أو جزاءٍ على عمله ؟ فلا بدَّ إذن من نار وجنَّة ؛ لينال كلٌّ جزاءَ ما فعله في دنياه ، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثّر : ٣٨] .

الأطفال : أمَّا أطفال المؤمنين الذين لم يتجاوزوا حدَّ التكليف فإنَّهم لا يدخلون النّار ويدخلون الجنّة ، لأنَّهم غيرُ مكلَّفين . والله أحكمُ الحاكمين .

وأمَّا أطفالُ المشركين . . ففيهم اختلاف ؛ يذكر في المطوّلات .

* * *

(١) أخرجه الترمذي : ٢٥٩٤ ، وابن ماجه : ٤٣٢٠ ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الفصل الرابع
الإيمان باليوم الآخر

أ ـ حكم الإيمان باليوم الآخر

سُمِّي « اليوم الآخر » ؛ لأنَّه آخر أيَّام الدنيا ، وسُمِّي « يوم القيامة » ؛ لقيام الناس من قبورهم . وسُمِّي بـ « يوم النَّشر » ؛ لأنَّ الناس يُنْشَرون منه ، وله أسماء كثيرة .

فيجب علينا أن نعتقد أنَّه لا بدَّ من يوم عظيم يجعل الولدان شيباً ، فينشر الناس من قبورهم ، ويحشرون للحساب ، ثم يُذْهَب بهم بعد ذلك إلى الجنَّة ؛ أو إلى النار ، قال تعالى ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [العاديات : ٩ ـ ١١] .

يومئذ يأخذ الله حقَّ المظلوم من الظالم حتَّى من الحيوانات . ويقول الكافر يومئذ ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ : ٤٠] . ثمَّ يُذْهَب بهم إمَّا إلى النعيم المقيم ، وإمَّا إلى الجحيم .

أمَّا الأنبياءُ والشهداءُ والصدِّيقون . . فإنَّهم يدخلون الجنَّة بغير حساب ؛ ولا عقاب .

ب ـ في علامات قيام الساعة

للساعة علامات كثيرة ؛ منها :

١ ـ ظهور المهدي ، واسمه محمّد بن عبد الله ؛ من سلالة النَّبيِّ ﷺ .

٢ ـ نزول سيِّدنا عيسى عليه السلام ، لكنه يحكم بالشريعة الإسلامية ،

ويكون تبعاً للمهدي .

٣ ـ ظهور الدجّال ، ويقتله سيّدنا عيسى عليه السلام .

٤ ـ خروج يأجوج ومأجوج .   ٥ ـ خروج دابّة الأرض .

٦ ـ طلوع الشمس من مغربها .   ٧ ـ دخان يبقى في الأرض أربعين يوماً .

٨ ـ غزو الكعبة .   ٩ ـ رفع القرآن من الصدور والسطور .

١٠ ـ خسفٌ في المشرق ، وخسف في المغرب ، وخسف في شبه الجزيرة العربية .

جـ ـ إيماننا بالموت

يجب علينا أن نعتقد أنَّ الموت حقٌّ ، وأنَّه نازل بكلِّ روح من الإنسان والحيوان ، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] حتَّى أنَّ ملك الموت ليقبض روح نفسه بأمر ربِّه ؛ فلا يبقى في الكون أحدٌ حيٌّ ، فيتجلَّىٰ ربُّ العالمين ، ويقول : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [الزمر: ١٦] فلا يجيبه أحدٌ ، فيقول ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [الزمر: ١٦] .

ومَلَك الموت يرفق بالمؤمن الطائع ، ويشدِّد على الكافر والعاصي حين خروج الروح منه .

ولعزرائيل أعوانٌ يساعدونه على قبض الأرواح وهو يقبضُها .

د ـ مَن يُقتَل فقد مات بأجله .

يجب علينا أن نعتقد أنَّ من مَاتَ . . مَاتَ بأجله المحتوم ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩] سواء مات عن مرض ؛ أو

عن غيره . فالأجل محتوم . . لا يتقدَّم ؛ ولا يتأخر .

هـ ـ فيمن لا تفنى أجسادهم في قبورهم .

وأمَّا الذين لا تفنىٰ أجسادُهم في قبورهم . . فهم : ١ ـ الأنبياء ، و٢ ـ الرسل ، ٣ ـ العلماء العاملون ، ٤ ـ الشهداء ، ٥ ـ المؤذّنون المحتسبون . و٦ ـ حامل القرآن العامل بما فيه .

وتفنىٰ جميعُ المخلوقات ؛ ولا تبقى منها إلاَّ ثمانية : ١ ـ العرش ، و٢ ـ الكرسي ، و٣ ـ القلم ، و٤ ـ اللوح المحفوظ ، و٥ ـ الأرواح ، و٦ ـ الجنة ، و٧ ـ النار ، و٨ ـ عَجْب الذَّنَب .

فهذه المخلوقات كلُّها حادثةٌ . . لكنها باقية ؛ لا تفنى . وأمَّا عَجْب الذنب ، فهو عَجْب صغيرٌ بمقدار الخَرْدلة في آخر فِقرات الظهر ، خبَّر عنه رسول الله ﷺ بأنَّه لا يفنى ، ومنه ينبت الإنسان ، ومنه يَكْمُلُ بعد الموت .

و ـ الشهيد .

الشهيد مقتولٌ بأجَلَه ، ولو لم يُقْتَل لمات بسبب آخر ، ثمَّ إنَّ الشهداء أحياءٌ في قبورهم حياةً برزخيَّة ، الله أعلم بحقيقتها ! قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران] .

وكم مِن رجل فرَّ من الحرب خشية الموت . . ومات في قومه بُعَيْد الحرب ، ورجع مَن كان يحارب حيّاً !! وهذا خالد بن الوليد حارب ما يقرب من ثلاثين سنة . . ولم يقتل ؛ ومات على فراشه وهو آسف على الشهادة !! ويقول : (تبّاً للجَبَان ؛ تبّاً للجبان ، ليت أمَّ خالد لم تلد خالداً !! ، واللهِ ؛ ما كنتُ أظنُّ أن أموتَ على فراشي كما يموت البعير) .

ز ـ في سؤال القبر والحشر

يجب علينا أن نعتقد أنَّ الإنسان .. مسلماً كان ، أو كافراً يُسأل بعد موته ودفنه في القبر ، فيأتيه ملكان ، ويسمَّيان « منكراً » و« نكيراً » ، فتعاد إليه روحه فيحيىٰ حياة برزخية ، فيسألانه عن ربِّه وعن دينه ؛ وعن الرجل الذي بُعث فيكم ـ يعني : محمّداً ﷺ ، أو : عيسى ، أو : غيره من الأنبياء ـ .

فأمَّا المؤمنُ .. فيقول (رَبِّيَ اللهُ ، وَدِيْنِي ٱلإسلامُ ، وٱلَّذي بُعثَ فينا هو نبيُّنا وحبيبُنا محمَّدٌ ﷺ ، وقد آمنتُ به وصَدَّقْتُه) . فيقال له (أُنظر إلى مقعَدِك من الجنَّة ، ونَمْ هانئاً مسروراً) . فينام في قبره حتَّى الحشر ويُفتَح له كُوَّةٌ من الجنَّة ، فيعيش في سرور وحُبور .

وأمَّا الكافرُ فيُسأَلُ مثل ما سُئل المؤمن ؛ فيقول (لا أدري !) ، فيقال (لا دَرَيتَ ؛ ولا تَلَيْتَ) ، ويعذَّب في قبره حتَّىٰ الحشر ، ويسلّط الله عليه الحَيَّات والثعابين يلدغُونَه ، ويُفتَحُ له كُوَّةٌ إلى نار جهنم ؛ فيعذب حتَّىٰ الحشر .

ملحوظة : لا بدَّ من ضغط القبر على الميت في باديء دفنه . لكن الضغط يختلف ، فيخفّف على المؤمن ويَعْظُم على الكافر والعاصي[1] .

الحشر : ويجب علينا أن نعتقدَ بالحشر ، وأنَّنا نُحشَر من قبورنا وتُساق الخلائق كلُّها .. إنسهم ؛ وجنُّهم ، والملائكة ، وجميعُ الوحوش والبهائم

---

(١) كان ﷺ إذا فُرغ من دفن الميت .. وَقَف عليه وقال : « إِسْتَغْفِرُوا لأَخِيْكُمْ ؛ فَإِنَّهُ ٱلآنَ يُسْأَلُ » . اهـ . حديث شريف . وقال : « ٱلْقُبُورُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ ٱلنَّارِ » .

ملحوظة : يحجب الله أبصارَ الناس وأسماعَهم عن عذاب القبر ؛ اختباراً لهم ، ليظهر مَنْ يؤمن بالغيب ، ومَن لا يؤمن ؛ أو يشكُّ !! . (المؤلف) .

وقوله ﷺ : «استغفروا . . . » أخرجه أبو داود : ٣٢٢١ ؛ عن عثمان رضي الله عنه .

إلى المحشر ، وأوّلَ من تنشَقُّ عنه الأرض يوم القيامة هو نبيُّنا محمَّد ﷺ . . وهو حيٌّ في قبره ؛ تعرض عليه أعمالُنا ، فإن وجد خيراً . . حمد الله ، وإن وجد غير ذلك . . استغفر الله .

ح ـ اثنا عشر صنفاً لا يسألون في قبورهم

وهم : ١ - الأنبياء ، و٢ - الرسل ، و٣ - الشهيد ، و٤ - المرابط ، و٥ - المقتول ظلماً . و٦ - الميت زمن الطاعون . . إذا كان صابراً محتسباً ، و٧ - الصدّيق ، و٨ - الأطفال المؤمنة ، و٩ - الميت يوم الجمعة ، أو ١٠ - ليلتها . و١١ - القارىء كلَّ ليلة (تَبَارَكَ ٱلَّذي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ) . و١٢ - القارىء في مرض موته (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) .

وأمّا سؤال أطفال المشركين ؛ ودخولهم الجنة أو النار . . فقد اختلفوا فيهم !! و الصحيحُ أنّهم في مشيئة الله تعالى ، ونتركُ أمرهم إلى الله . اهـ . ابن عابدين بتصرُّفٍ .

ط ـ هول الموقف :

إنَّ هول الموقف عظيمٌ يطول على الكفّار ويهون و يقصر على المؤمنين ، فمن الناس مَن يلجمه العرق من كثرة الخوف والفزع ، وتدنو الشمس من رؤوس العباد مقدار مِيْل حتّى ليتمنَّىٰ الناس أن يُذْهَب بهم . . ولو إلى النار ؛ ليتخلَّصوا من هول الموقف ! وقد ذكر ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ ٱللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : ١ -إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَ٢ -شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ ٱللهِ . .) » الحديث[1] .

---

(١) تمامه « و٣ -رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ . . إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهِ ، و٤ -رَجُلاَنِ تَحَابَا فِي ٱللهِ . . ٱجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَ٥ -رَجُلٌ ذَكَرَ ٱللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ =

ي - الحساب :

يجب علينا أن نؤمن بيوم الحساب ، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] . وقال تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقد ثبت الحسابُ بالقرآن والسنَّة والإجماع ، وجعل الله عَشَرة شهودٍ تشهد على الإنسان في يوم الحساب ؛ وهي ١ _ الألسنَةُ ، ٢ _ الأيدي ، ٣ _ الأرجل ، ٤ _ السمع ، ٥ _ البصر ، ٦ _ الجلود ، ٧ _ الأرض ، ٨ _ الليل ، ٩ _ النهار ، ١٠ _ الحَفَظةُ الكرام .

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢١ _ ٢٢] .
﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤] .

فمِنَ المؤمنين مَن يدخل الجنَّة بغير حساب ، ومن الكافرين من يدخل النار بغير حساب ؛

وأمّا الباقون . . فيحاسبون على الصغيرة والكبيرة ، فهناك ترى المجرمين مشفقين مما فيه ؛ قال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

= عَيْنَاهُ ، و ٦ _ رَجُلٌ دَعَتْهُ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ؛ فَقَالَ (إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ) ، و ٧ _ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » . أخرجه البخاري : ٦٦٠ ، ومسلم : ٩١ _ ١٠٣١ ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والحكمة من هذا الحساب : أن تظهر درجات أهل الكمال ، وفضائحُ أهل الكفر والعصيان ؛ فتزداد مسرّات هؤلاء ؛ كما تزداد حَسَراتُ المخالفين لأمر الله .

* * *

الشفاعة

يجب علينا أن نعتقد حصول الشفاعة لنبيّنا محمّد صلوات الله وسلامه عليه ؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون ؛ إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

فهو يشفع لغيره وشفاعتُه مقبولةٌ . وتُقَدَّم شفاعتُه على كلِّ الشفاعات . وله شفاعاتٌ كثيرة منها :

١ ـ الشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر ، حينما يطوُل الوقوف بالناس ، وتدنو الشمس من رؤوس العباد على بعد ميل ؛ فيفيض الناس عرقاً ، فيترامون على أعتاب الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند ربُهم ، فأوّل ما يأتون آدم عليه السلام ؛ فيقولون (يا آدم ؛ أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك الله الجنّة ، ألا ترى ما نحن فيه ؟! ألا تشفع لنا عند ربك ؟!) فيقول لهم آدم عليه السلام : « إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ ٱلْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ ٱلشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ . اَللَّهُمَّ نَفْسِي نَفْسِي ، اِذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي . اِذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ » .

فيأتون نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى ؛ وكلُّهم يقول : « اَللَّهُمَّ ؛ نَفْسِي نَفْسِي » .

فيقول لهم عيسى عليه السلام : « عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ » ، فيأتون

محمَّداً عليه السلام .. وهو جالسٌ على يمين العرش ؛ على أعظم منبرٍ من نور ، قد كُسي حلَّةً خضراء من حُلَل الجَنَّة ، فيقولون (يا محمَّدُ ؛ أنتَ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإنَّ الله قد غَفَر لك ما تقدَّمَ من ذنبك ؛ وما تأخَّر ، ألا ترى ما نحن فيه ؟!! ألا تشفعُ لنا عند ربِّك ؟!! فينهض عليه الصلاة والسلام قائلاً : « أَنَا لَهَا ، أَنَا لَهَا » ، ويخرُّ ساجداً لله ، فيناديه ربُّ العالمين : ﴿ يَا مُحَمَّدُ ؛ اِرفعْ رأسَك ، وَسَلْ تعطَ ، واشفع تشفَّعْ ﴾ ، فيقول : « يَارَب أُمَّتِي أُمَّتِي » . فيقال له ﴿ اِشْفَعْ لِمَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ وهذا هو المقامُ المحمودُ الذي يحمَدُه عليه الأوَّلون والآخرون[1] .

٢ -فيشفع لإدخال قومٍ الجنة بغير حساب ، و٣ -يشفع لقوم حُوسبوا واستحقُّوا العذاب .. أن لا يُعذَّبوا . و٤ -يشفع لإخراج العصاة الموحِّدين من النار ؛ لا المشركين ، فإنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ؛ ويغفر ما دون ذلك لمن شاء ! .

و٥ -من شفاعته أيضاً تخفيفُ العذاب عن المخلَّدين في جهنَّم رحمةً بهم ؛ كأبي طالب وغيره .

ويجوز شفاعةُ المصطفىٰ ﷺ لأهل الكبائر ؛ لأنَّهم مؤمنون .. وإن كانوا عاصين ، فقد رُوي عنه ﷺ أنَّه قال : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ ٱلْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي »[2] .

وأحاديث شفاعةِ أهل الكبائر كثيرة كادت لا تُحصىٰ .

---

(١) متفق عليه، البخاري : ٦٥٦٥ ؛ ٧٤٤٠ ، ومسلم : ٣٢٢ـ١٩٣ ، وغيرهما عن أنس رضي الله عنه وألفاظه مختلفة .

(٢) أخرجه أحمد : ٣/٢١٣ ، وأبو داود : ٤٧٣٩ ، والترمذي : ٢٤٣٥ ، والحاكم : ١/٦٩ ، وابن حبان : ٦٤٦٨ ، والبزار : ٣٤٦٩ ، والطيالسي : ٢٠٢٦ ، والطبراني في « الصغير » : ٤٣٨ ؛ عن أنس. وعن جابر رضي الله عنهما .

خاتمة - في رؤية الله تعالى يوم القيامة

إنَّ الله تعالى خَلَقَ الجنَّة ، وجعل فيها النعيمَ المقيم ، وأحلى أنواع النعيم هي رؤيةُ الله تعالى في الجنَّة ، قال تعالى في ذلك ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] . فالحسنىٰ الجنَّةُ ، والزيادةُ هي رؤيةُ الله تعالى في النعيم العظيم ، فالرؤيةُ جائزة على الله ، لأنَّ الله موجودٌ ، وكلُّ موجود يصحُّ أن يُرىٰ ، فاللهُ يصحُّ أن يرى ، ثمَّ لو لم تكن رؤيته جائزة . . لما سَأَلها سيِّدنا موسى عليه السلام بقوله ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فلو عَلِم أنَّ رؤيته مستحيلةٌ لَمَا طلبها !!

وأمَّا قوله تعالى لموسى ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أي : لن تراني في الدنيا ، لأن بصرك لا يمكنه الرؤية ، وأمَّا في الآخرة . . فيجوز أن نراه تعالى .

ولقد ثبت في الحديث الصحيح ؛ عن النَّبيِّ ﷺ حينما سأله أصحابه : يا رسول الله ؛ هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة ؟. فقال النَّبيُّ ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ(1) فِي رُؤْيَةِ الشمس لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » . قالوا : لا ؛ يا رسول الله . قال : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » . قالوا : لا ؛ يا رسول الله . قال : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ » . قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٣] .

---

(1) أي : تَشُكُّون . وفي رواية : « هَلْ تُضَامُونَ » . (المؤلف) .
و« تضارُّون » تروىٰ بالتشديد ، وبالتخفيف . فالتشديد : لا تتخالفون ؛ ولا تتجادلون في صحّة النظر إليه ؛ لوضوحه وظهوره ، كما في « النهاية » : ٣/ ٨٢ . وهو عند البخاري : ٤٥٨١ عن أبي سعيد .

كيفية رؤيته تعالى : نعم ؛ نرى الله في الجنَّة .. لكن بغير كيف ؛ ولا كَمٍّ ؛ ولا إدراك ؛ ولا انحصار ! لأنَّه لا جهةَ له ، ولا مقابلة . والله أعلم بكيفيَّة رؤياه(١) .

ملحوظة : لم تحصل رؤية الله في الدنيا لأحدِ غيرِ نبيِّنا ﷺ حينما عُرِج [به] إلى السماء بعد أن أُسريَ به من مكَّة إلى بيت المقدس ، فإنَّه رأىٰ الله عزّ وجلّ تكريماً له وتعظيماً .

وقد جاء في سورة النجم قولُه تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٤ ـ ١٥] . وقال أيضاً : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم : ١٢] .

وأمَّا غيرُ النَّبيِّ ﷺ .. فلم يره أحدٌ في الدنيا يقظةً .

وأمَّا في المنام .. فقد يرى ، خلافاً للمعتزلة الذين ينكرون رؤية الله في الدنيا والآخرة .

* * *

(١) ومِن الناس مَن يراه كلَّ يوم في الجنة ، ومنهم مَن يراه في كلِّ أسبوع مرّة ، ومنهم من لا تنقطعُ عنه رؤية الله تعالى لَحْظَة . ولو انقطعت عنه .. لتمنّى أن يخرج منها ، لأنَّه ما أحبَّ الجنة إلاّ لرؤية الله عز وجلَّ فيها ، وذلك هو السعيد . (المؤلف) .

الباب الرابع
درجات الأعمال

* الحسنات والسيئات .
* الكبائر والصغائر .

الفصل الأول

الحسنات و السيئات

الحسنةُ هي : ما يُمْدَح صاحبُها شرعاً . والسيئة : ما يُذَمُّ صاحبها شرعاً ، مَن عمل حسنةً ضَاعَفَ الله تعالى ثوابها بشرط أن لا يكون فيها رياءٌ ؛ ولا سمعة ، فإنَّ الرياء يُحْبِط الأعمال ، وهو من الكبائر . وقد يضاعف الله الحسنةَ إلى سبع مئة ضعف ، ومَنْ هَمَّ بمعصية ؛ ورجع عنها . . ولم يفعلها تُكتَب له حسنةٌ ، ورَوىٰ ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما ؛ عن رسول الله ﷺ فيما يَرويهِ عن ربِّه تبارك وتعالى . . قال :

« إِنَّ ٱللهَ كَتَبَ ٱلحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بيَّنَ ذَٰلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ ؛ فَلَمْ يَعْمَلْهَا . . كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا . . كَتَبَهَا ٱللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِئةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا . . كَتَبَهَا ٱللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » . رواه البخاري ومسلمٌ في « صحيحيهما »[1] .

فـالسيِّئات من فضله لا تتضاعفُ ، والحسنات تتضاعف إلى ما شاء الله ، فالحمدُ لله على مَنِّه وكرمه .

ملحوظة : استحلالُ المعصية كفرٌ ، فمَن استحلَّ شرب الخمر والزنا وإفطارَ رمضان وأمثال ذلك . . فهو كافر .

وكذا مَن استحل خروج المرأة حاسرةً عن شعرها وجسدِها . . فهو كافر ،

---

(١) هو عند البخاري : ٦٤٩١ ، ومسلم : ٢٠٧ ـ ١٣١ ؛ عن ابن عبّاس .

وإن لم يستحلَّ ؛ وكان متهاوناً . . فهو فاسق . والناسُ عنه غافلون . اهـ . شرح « العقائد النسفيَّة » بتصرُّف .

* * *

التوبة

وإنّ الله تعالى يغفر لمن تاب توبةً نصوحاً في دنياه ؛ ولا يحاسب إلاّ على حقوق العبد ، فإنَّه لا بدَّ له من إيفائها . أمَّا مَن مات مؤمناً ؛ وكان عاصياً في دنياه ؛ ولم يتب من ذنبه . . فأمره عائدٌ لربّه ، إنْ شاء عذّبه ، وإن شاء غفر له . ولا يخلَّد في النار مؤمنٌ ، هذا من فضله تعالى وكرمه ! لذلك يجوز أن يغفر الله الذنوبَ الصغائر والكبائر إلاّ الإشراكَ به ؛ فإنَّه لا يغفره ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، خلافاً للمعتزلة ، فإنَّهم يقولون إنَّ مرتكب الكبيرة . . إذا مات ؛ ولم يتب من ذنبه لا يغفر له ، لكنَّه ليس بكافر ، فله المنزلةُ بين المنزلتين . اهـ .

* * *

الفصل الثاني

الكبائر والصغائر

الكبيرة هي : ما توعَّد عليه الشرعُ بخصوصه .

الصغيرة هي : كلُّ ما لم يتوعَّد عليه الشرع بخصوصه .

وإذا أصرَّ العبد على الصغيرة . . ألحقت بالكبيرة .

والكبائر كثيرة ؛ منها ما جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « اِجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما هي ؟. قال : « ١ ـ الشِّرْكُ بِٱللهِ ، و ٢ ـ ٱلسِّحْرُ ، و ٣ ـ قَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ ، و ٤ ـ أَكْلُ ٱلرِّبَا ، و ٥ ـ أَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، و ٦ ـ ٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، و ٧ ـ قَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ٱلْغَافِلاَتِ » رواه البخاري ومسلم[(١)] .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : الكبائرُ تسعةٌ ؛ وزاد عليها : ٨ ـ عُقُوقَ ٱلْوَالِدَيْنِ ، و ٩ ـ ٱلإِلْحَادُ فِي ٱلْحَرَمِ[(٢)] .

وزاد عليٌّ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه : ١٠ ـ السرقة ، و ١١ ـ شرب الخمر .

أمَّا الصغائر . . فهي التي إن أصرَّ عليها تصبحُ كبيرة ، فإذا اجتنب العبدُ الكبائر . . غُفرت له الصغائر .

فَٱلصَّلَوَاتُ ٱلْخَمْسُ ؛ وَٱلْجُمُعَةُ إِلَىٰ ٱلْجُمُعَةِ ؛ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ . .

---

(١) هو عند البخاري : ٢٧٦٦ ، ومسلم : ١٤٥ ـ ٨٩ ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أي : ارتكابُ الصغيرة ، فالصغيرة في الحرم كبيرةٌ (المؤلف) .

مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ؛ إذا ٱجْتُنِبَتِ ٱلكَبَائِرُ » . والذي يكفِّرُ الذنوب[1] أيضاً الإسباغُ في الوضوء ، وكذلك الجهاد في سبيل الله ، والحجُّ المبرور .

ملحوظة : نَعَم ؛ يُكفِّر الله تعالى الذنوبَ كلَّها ، ولكن ليس ذلك واجباً عليه ، بل يُرجَىٰ منه ذلك فضلاً ومنّاً .

خاتمة :

التوبة : يجبُ التوبة من الذنوب فوراً بلا تأخير ، فإن أخَّرها فذنبٌ آخرُ ، ولكنه لا يتعدَّد ؛ ولا يتضاعف باللحظات الزمانية ؛ خلافاً للمعتزلة . ثمَّ إن تاب مؤقَّتاً على نيَّةِ العود إلى الذنب . . فهو ذنبٌ آخر يضاف إلى ذنبه الأوَّلِ . وهذا يُخشىٰ عليه سوءُ العاقبة ، لأنَّه ليس بتائب من ذنبه .

* * *

خاتمة الكتاب

قال مؤلِّفه غفر الله له :

هذا ؛ وقد تمَّت بفضله تعالى « الرسالة النافعة في علم التوحيد » لطلاَّب العلم الشريف ؛ راجياً من الله تعالى أن ينفع بها المسلمين ، وأن يجعل علمنا خالصاً لوجهه الكريم ؛ مقبولاً لديه ، وصلّى الله على سيِّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، وكان ذلك في غرة شهر ربيع الأنوار سنة : ١٣٩٩هـ .

---

(١) أي : الذنوب الصغائر (المؤلف) .

الملاحق[1]

(١) هذه النصوص انتقاها الشيخ رحمه الله وأمر باستنساخها ليكون زيادة على هذا الكتاب وكتب ذلك بخطه رحمه الله ، وقد أثبتناها كما رتبها بيده .

الهدىٰ والضلال

قال أهلُ السنَّة والجماعة : **الهُدىٰ** من الله تعالى هو : خلقُ الاهتداء في العبد . **والإضلالُ** : خلق الضلالة فيه .

وقالت المعتزلة : الهدى من الله تعالى هو بيانُ طريق الصواب . والإضلالُ هو تسميةُ العبد ضالاً . أو حكمُه بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه . والصحيح ما قاله أهل السنَّة والجماعة ، لقوله تعالى خطاباً للنَّبيِّ ﷺ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ولو كان الهدىٰ بيانُ طريق الصواب لما صحَّ النفي عن النَّبي ﷺ لأنَّه بيَّن الهدىٰ لمن أحبَّ وأبغض !! وكذا قوله تعالى ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل : ٩٣] . كما أُضيف الهدىٰ إلى الله .

وقد يضاف الإضلال لغير الله بطريق التَّسبُّب ؛ لا بطريق الخلق ، كقول إبراهيم الخليل عليه السلام عن الأصنام والأوثان ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وذلك لكونها سبباً للضلال . والله أعلم .

إبطال التوليد

التوليد هو : الأثر الناتج عن الفعل . فآثار أفعال العباد مخلوقةٌ بخلق الله تعالى ، وموجودة بإيجاده ؛ لا بإيجاد العباد ، ولا متولِّدة من أفعالهم ؛ كما زعمت القَدَريَّة !! إلاَّ أنَّ الله تعالى أجرى العادةَ بخلق الأَثر عقيبَ مباشرة السبب ، فإذا باشر العبد السبب بقصد حصول الأثر . . أضيف إليه ؛ وتوجَّهت عليه الملامة عرفاً ، ولزمته الغرامة في الدنيا والعقوبة في الآخرة شرعاً ، وإن

لم يكن الأثر حاصلاً بفعله حقيقة ؛ كمن شقَّ زِقَّ إنسان حتَّىٰ سال منه الدهن يُلامُ عليه عرفاً ، وتلزمه الغرامةُ ويؤَاخذ عليه شرعاً أيضاً ، وإن لم يكن السَّيَلان بفعله حقيقةً ، إلاَّ أنَّه سببٌ في حكم العلَّة ، فيقوم مقامها ، ويضاف الحكم إليها وجوباً ، فإنَّه لمَّا باشر السبب بقصد حصول الأثر . . أُضيف إليه عادة وعرفاً ، ولكن المؤثِّر في الحقيقة هو الله . والله أعلم .

القضاء والقدر

قال أهل السنَّة والجماعة : أفعال الخلق وأحوالهم كلّها بقضاء الله تعالى وقدره .

وقالت المعتزلة : المعاصي ليست بقضاء الله وقَدَره ، بل هي من فعل العبد ومباشرته . والصحيح : أنَّ كلَّ ما كان بخلق الله تعالى وإرادته . . فهو بقضائه وقدره ، لأنَّ القضاء في اللغة عبارةٌ عن الفعل مع زيادة إحكام .

والقدر : تحديدُ كلِّ مخلوق بحدِّه الذي يوجد من حُسْن وقُبْح ونفع وضُرٍّ ، وما يحويه من ظرف المكان والزمان ، وما يلزمه من ثواب ؛ أو عقاب ، قال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] وقال ﷺ : « ٱلْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ [مِنَ ٱللهِ] »(١)

فالكفر مقضيُّ اللهِ تعالى ؛ لا قضاؤه ، فإنَّ قضاءَه صفتُه ، والكفرُ صفةُ

---

(١) جزءٌ من حديث جبريل في تعليم الأمة أركان الإيمان والإسلام والإحسان . . . . أخرجه مسلم : ٨ وأبو داود : ٤٦٩٥ ، والترمذي : ٢٦١٠ ، والنسائي : ٨/ ٩٧ ، وابن ماجه : ٦٣ .

العبد . وقضاؤه : أن يخلق الكفر في الكافر . . عند اختيار العبد ذلك ؛ على وجهٍ يستحقُّ به العقاب ، فما يباشره العبد باختياره من الكفر والمعاصي ؛ فهو لا يرضى به ، لكن من غير تحريض منه عليه .

تكليف ما لا يطاق

قال أهل السنَّة والجماعة من الماتريدية : لا يكلِّفُ الله عبادَه بما لا يصحُّ وجودُه منهم ؛ ضرورةَ أنَّ الآمر حكيم ؛ لا يأمر عباده بفعل ما لا يطيقون ، وهذا ما اقتضته الحكمةُ الإلهية خلافاً للأشعرية ، فالتكليف عندهم إلزام ما فيه كُلْفة للفاعل ابتلاءً بحيث لو أتى به يُثاب عليه ؛ ولو امتنع عنه . . يعاقب عليه .

وهذا إنَّما يتحقَّق فيما يمكن للعبد فعله لا فيما يستحيل عنه ، فإنَّه عندنا يجوز من الله أن يأمر العبد بحمل جبل ؛ أو جدار بحيث لا يطيقُه فيموت ، لكن لا يجوز أن يكلِّفه بحمل جبل ؛ أو جدار مثلاً بحيث لو فعل يُثاب عليه ، ولو امتنع يعاقَب عليه وذلك لأنَّه خارج عن الحكمة ؛ كما ذكرنا ، قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] صدق الله العظيم .

الاستطاعة والقدرة

إنَّ الاستطاعة ؛ والقدرة ؛ والقوَّة ؛ والطاعة ؛ والوسع . . أسماءٌ متقاربة مترادفة ، وهي ثابتةٌ للعباد في أفعالهم الاختيارية ، وذلك من اقتضاء الحكمة الإلهيَّة عند أهل السنَّة والجماعة ؛ خلافاً للجَبْريَّة القائلين بالإجبار والاضطرار في الأعمال وإنكار الاستطاعات .

والاستطاعة والقدرةُ عند أهل السنَّة والجماعة مقارِنَةٌ للفعل ؛ لا متقدِّمةٌ

عليه ؛ خلافاً للقدرية وكثيرٍ من الكرَّاميَّة .

فإنَّ استطاعة الفعل مقارنةٌ للفعل ، ولأنَّ قدرة العبد حادثة ، والقدرة الحادثة عَرَضٌ ، والعَرَض يستحيل بقاؤه ، فلو كانت القدرة سابقةً على الفعل . . لانعدمت وقت الفعل ، ولحصل الفعل بدون القدرة ، ولو صحَّ الفعل بدون القدرة . . لصحَّ من العاجز . وهو محال !!

هذا ؛ وليس من صفة العلَّة الحقيقيَّة تقدُّمها على المعلول ، بل يجبُ أن تكون مقارنة للمعلول ؛ كما هو عند الأُصوليِّين .

الاسم ؛ والمسمّىٰ ؛ والتسمية

قال أهل السنة والجماعة من الماتريديّة : الاسم والمسمّىٰ واحد .

وقال بعض الأشعريَّة : الاسم غيرُ التسمية ، وغيرُ المسمَّىٰ .

وقال الجَهْميَّة والكرَّاميَّة والمعتزلةُ : الاسم غير المسمَّىٰ .

واتفقوا على أنَّ التسمية غيرُ المسمَّىٰ . لأنَّها قائمةٌ بالمسمَّىٰ .

والصحيح ما قلنا من أنَّ الاسم والمسمَّىٰ واحد ، فإنَّ مَن قال « الله » . . صحَّ أن يقال (ذكرَ الله) . وصحَّ أن يُقال أيضاً (ذكر اسم الله) ، ولولا أنَّ الاسمَ والمسمَّىٰ واحدٌ . . لَمَا صحَّ هذا الإطلاق .

والدليل على ذلك قولُه تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . وكذا نقول في الركوع (سبحان ربي العظيم) ، وكذا تعارف عليه أهل اللسان ؛ حتّى قال أحدهم :

إِلَىٰ ٱلحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلامِ عَلَيْكُمَا . . . .

وكذا إذا قال الرجل (زينب طالق) واسمُ امرأته « زينب » يقع الطلاق على ذات المرأة ؛ لا على اسمها ، إلاّ أنّ الاسم يُذكر ويراد به التسميةُ ، فإذا استعمل هذا الاستعمال .. فيكون الاسمُ غيرَ المسمَّىٰ لا محالة ، كما يقال (ما اسمك ؟) فيقول « محمَّدٌ » يريد به السؤال عن التسمية بدليل أنّه ذكره بكلمة « ما » . وأنّها لغير العقلاء .

التكوين والمكوَّن

قال أهل السنّة والجماعة .. من الماتريدية : إنّ جميع الصفات قديمة قائمة بذات الله تعالى .

وقالت الأشعريّة : ما كان من صفات الذات .. فهو قديم قائمٌ بذات الله تعالى ، وما كان من صفات الأفعال .. فهو حادث غير قائم بذات الله تعالى . نحو (التكوين ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة وغير ذلك) .

وعلى هذا يكون التكوين عند الأشعري حادثاً ، وهو عين المكوَّن .

الصحيح ما قلنا من أنّ التكوين قديمٌ ، لقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٤] وصف ذاته بأنّه خالق وذاتهُ أزليٌّ ، وكلامه أزليٌّ ، فلو كان التكوين حادثاً .. لم يكن الله تعالى موصوفاً به في الأزل ، فيكون كذباً ! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا .

والتكوين عندنا غيرُ المكوَّن ، لأنّه لو كان عين المكوَّن ، أو قائماً به .. لكان وجودُ المكوَّن بنفسه ؛ واستغنى في وجوده عن غيره ؛ فيكون قديماً ، وتكون المكوَّناتُ كلُّها قديمةً !! وهذا محالٌ .

والدليل العقليُّ على أنَّ التكوين غيرُ المكوَّن وأنَّ التكوين قديمٌ والمكوَّن حادثٌ : أنَّ التكوين في الأزل لم يكن العالَم ، أي : المكوَّن معه وذلك لأجل أن يكون كلُّ شيءٍ كائناً به وقت وجوده . . على حسب علمِ الله وإرادته ، والتكوينُ باقٍ من الأزل إلى الأبد فيتعلَّق وجودُ كلِّ موجودٍ وقتَ وجوده بتكوينه الأزليِّ . والله أعلم .

* * *

مصادر الكتاب

١ ـ المواقف للإيجي ، وشرحُه للسيِّد الشريف الجرجاني .

٢ ـ مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري .

٣ ـ طوالع الأنوار للأصبهاني ، وحاشيته للسيد الشريف .

٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني ؛ عن الأستاذين الحافظ والمالح .

٥ ـ المسامرة شرح المسايرة للكمال ابن أبي يوسف على ابن الهمام .

٦ ـ شرح السنوسية ، وحواشيها .

٧ ـ شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني ، وحواشيه .

٨ ـ قواعد العقائد للإمام الغزالي .

٩ ـ شروح الجوهرة : البيجوري ؛ عبد السلام ، وحواشي الشروح .

١٠ ـ شرح القاري على « بدء الأمالي » ت ولدنا الشيخ محمد عبد اللطيف .

١١ ـ براءة الأشعريين للعربي التبّاني (أبو حامد ابن مرزوق) .

١٢ ـ شرح القاري على « الفقه الأكبر » المنسوب للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

١٣ ـ تفسير الفخر الرازي .

١٤ ـ حاشية «ردّ المحتار على الدرّ المختار» للعلاّمة ابن عابدين . ط بولاق سنة ١٢٧٢هـ .

١٥ ـ التعريفات للسيّد الشريف الجرجاني .

١٦ ـ الملل والنحل للشهرستاني .

١٧ ـ الفَرْق بين الفِرَق للأسفرائيني البغدادي .

* * *

الفهرس

الملاحق